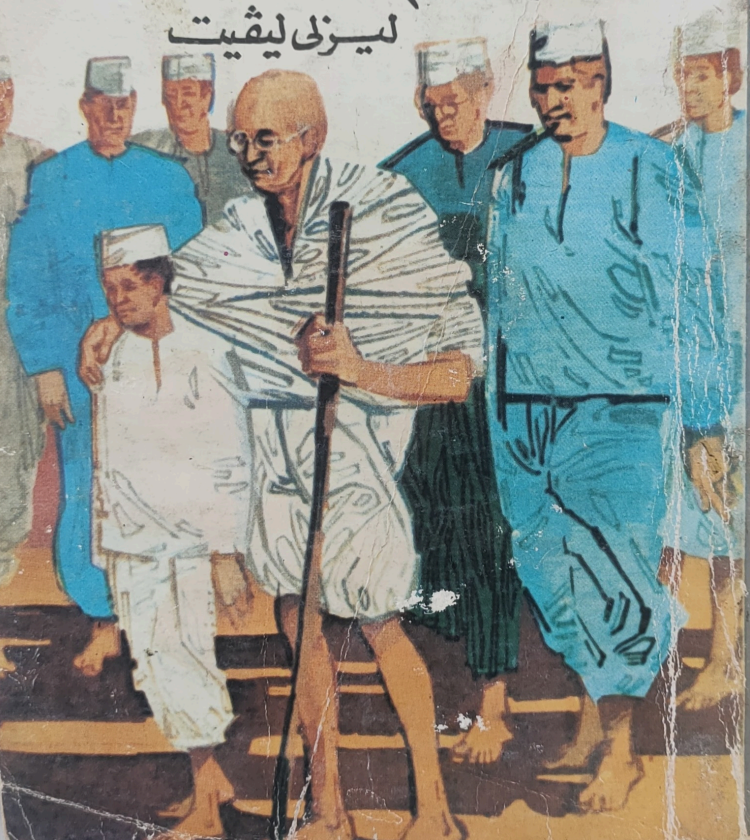


روائع الأدب العالمي للناشئين

رجال عظام... ونساء عظيمات

ليزلى ليقيت



رجال عظام.. ونساء عظيمات

ناهـد عبـد الفتاح

قامت الفنانة بوضع قصاصات ورقية ملونة ومزجتها بالألوان، ثم غدت بها الكمبيوتر لتتعلمل معها مرة أخرى، فطمست بعض الملامح وأبرزت البعض الآخر، ثم أضافت أرضية متدرجة الألوان لتحيط الصورة، وقد إستطاعت التعبير عن معاناة الزعيم الهندي غاندى حيث قدمت الوجه العبوس وكأنه لم يعرف الراحة قط، حتى العيون أضافت إليها اللون الأحمر لتؤكد إحساس السهد وعذابات الاضطهاد، فى حين تركت الوجهين الملاصقين له وكأنهما الضد له، لتزيد من تأكيد ما يعانيه وجه غاندى.

محمود الهندى

رجال عظام.. ونساء عظيمات

تأليف: ليزلى ليقيت
ترجمة: مختار السويقي
مراجعة: محمد العزب موسى



مهرجان القراءة للجميع ٢٠٠٠ مكتبة الأسرة

برعاية السيدة سوزان مبارك

(أعمال ناشئين)

رجال عظام .. ونساء عظيمات

تأليف: ليزلى ليشيت

ترجمة: مختار السويفى - مراجعة: محمد العزب موسى

الجهات المشاركة:

جمعية الرعاية المتكاملة المركزية

وزارة الثقافة

وزارة الإعلام

وزارة التعليم

وزارة الإدارة المحلية

وزارة الشباب

التنفيذ : هيئة الكتاب

الغلاف

والإشراف الفنى:

القنان : محمود الهندى

المشرف العام :

د . سمير سرحان

على سبيل التقديم

«كتاب لكل مواطن ومكتبة لكل أسرة، تلك الصيحة التى أطلقتها المواطنة المصرية النبيلة «سوزان مبارك» فى مشروعها الرائع «مهرجان القراءة للجميع ومكتبة الأسرة، والذى فجر ينباع الرغبة الجارفة للثقافة والمعرفة لشعب مصر الذى كانت الثقافة والابداع محور حياته منذ فجر التاريخ.

وفى مناسبة مرور عشر سنوات على انطلاق المشروع الثقافى الكبير وسبع سنوات من بدء مكتبة الأسرة التى أصدرت فى سنواتها الست السابقة (١٧٠٠)، عنواناً فى حوالى ٣٠٠ مليون نسخة لاقت نجاحاً وإقبالاً جماهيرياً منقطع النظير بمعدلات وصلت إلى (٣٠٠)، ألف نسخة من بعض إصداراتها.

وتتطلق مكتبة الأسرة هذا العام إلى آفاق الموسوعات الكبرى فتبدأ بإصدار موسوعة «مصر القديمة، للعلامة الاثرى الكبير «سليم حسن» فى ١٦، جزءاً إلى جانب السلاسل الراسخة «الابداعية والفكرية والعلمية والروائع وامهات الكتب والدينية والشباب، لتحاول أن تحقق ذلك الحلم النبيل الذى تقوده السيدة: سوزان مبارك نحو مصر الأعظم والأجمل.

د. سمير سرحان

المهاتما غاندى

عند غروب شمس يوم ٣٠ يناير سنة ١٩٤٨ ،
كان هناك رجل عجوز ضئيل الجسم يعبر حوش
منزله أخذاً طريقه الى المعبد لأداء الصلاة . وفجأة ،
سمع دوى آذبع طلقات نارية سقط الرجل على اثرها
على الأرض .

وفى تلك الليلة ، قال صديقه العظيم « بانديت
نهرو » وهو ينعيه من خلال الاذاعة الى شعب الهند :
« لقد انطفأ النور من حياتنا .. وحل الظلام فى
كل مكان .. » .

وقصة حياة هذا الرجل العجوز الضئيل الجسم ،
هى قصة حياة رجل من أعظم الرجال .. المهاتما
غاندى .. وهى قصة يجب ان يعرفها الجميع ..



• المہاتما غاندی •

١ - فى بيته

فى ٢ اكتوبر سنة ١٨٦٩ ، ولد موهانداس
غاندى فى احدى مدن غرب الهند . و « موهانداس »
هو اسمه الأول . اما لقب « المهاتما » فهو لقب منح
اليه فيما بعد ، ومعناه « الروح الكبير » .

وعلى مدى سنوات طويلة ، تبوأ أسرة غاندى
عديدا من الوظائف الكبيرة الهامة فى الحكومة . وكان
أبوه يشغل منصبا رئيسيا فى احدى ولايات الهند .

وكان رجلا مهذباً وشجاعاً وعرف بحسن أدائه لعمله
وسمعته الطيبة .

وكان الطفل موهانandas يحب والديه جداً ،
وكانت أمه سيدة متدينة محبة للصلاة ، وكانت لا تقوم
باعداد أية وجبة طعام للأسرة ، الا بعد أداء صلوات
خاصة .

وفي احدى المرات شعرت الأم بأن واجبها الديني
يفرض عليها أن تصوم وتضرب عن تناول الطعام حتى
ترى الشمس . وكان الوقت آنئذ في فصل سقوط
الامطار ، واختفت الشمس وراء السحب منذ مدة
طويلة . وقلق الأطفال لحال أمهم ، فأخذوا يقضون
الساعات الطوال متطلعين الى السماء لعل السحب
تنفرج قليلا فتظهر الشمس ، فيسرعون الى أمهم
لاخبارها بأن الشمس قد ظهرت فتوقف صيامها وتبدأ
فى تناول الطعام .

٢ - فى المدرسة

وقد ألف المهاتما غاندى كتابا عن بعض ذكرياته،
أخبرنا فيه عن أشياء كثيرة من ذكريات طفولته
وسنواته الأولى . وقال غاندى فى بعض صفحات هذا
الكتاب انه لم يكن من السهل عليه أن يعقد صداقات
مع قرنائهم من زملاء المدرسة . وكان أصدقاءه الوحيدون
هم كتبه ودروسه . وكان يجرى منطلقا إلى بيته فور
انتهاء الدروس خوفا من أن يكلمه أحد أو يسخر منه
أحد .

كان طفلا معروفا بالصدق والأمانة . ولكن حدث
فى أحد الأيام ما كدر صفوه . وكان الأمر يتعلق
« بالألعاب المدرسية » . حيث يفرض عليه الاشتراك
مع غيره من الأولاد على غير رغبة منه . كما كان يريد
الانصراف من المدرسة فورا بعد انتهاء الدروس لكي
يساعد أباه . ولذلك فقد كان غاندى لا يحب الاشتراك
فى هذه « الألعاب المدرسية » وكان يعتبرها مضيعة
للوقت .

وفى يوم ما بعد انتهاء الدروس فى الفترة
الصباحية ، طلبوا منه أن يعود الى المدرسة فى الساعة
الرابعة بعد الظهر للاشتراك فى الألعاب المدرسية .
وكان موهانداس لا يمتلك ساعة يعرف بها الوقت ، كما
أخطأ فى تقدير الوقت بسبب السماء الملبدة بالسحب
والغيوم . فوصل الى المدرسة بعد انتهاء الألعاب
وانصراف التلاميذ .

وفى اليوم التالى أخذ موهانداس يبرر للنظر
السبب فى تأخره فى الحضور الى المدرسة عصر

اليوم السابق • ولكن الناظر لم يصدقه • بل وقيل له
انه يكتب ولا يذكر الحقيقة ولا بد ان يعاقب على ذلك !

كاذب ١٩٠٠

هل هذا معقول ١٩٠٠

ولكن كيف يستطيع أن يبرهن على أنه لم يذكر
سوى حقيقة ما حدث فعلا ١٩٠٠

وفي هذه السن المبكرة ، أدرك غاندى أن رجل
« الحقيقة » لابد أن يكون أيضا رجلا « حريصا » • وأن
الاهمال قد يؤدي الى حمل الآخرين على تكوين فكرة
خاطئة عن الرجل ، حتى لو كان صادقا بالفعل •

وقد غير غاندى فكرته عن الألعاب الرياضية
فيما بعد • ولحسن الحظ فقد قرأ فى أحد الكتب عن
الفوائد الثمينة لرياضة « المشى » ، فبدأ منذ صباه فى
المشى لمسافات طويلة فى الهواء الطلق • وظلت هذه
الرياضة مفضلة لدى غاندى ، كما ظل يمارسها طوال
حياته •

وذكر غاندى أيضا فى كتابه هذا أن خطه كان رديئا ويقرأ بصعوبة ، وأنه لم يبذل أى جهد لتحسينه لأنه كان لا يرى أية أهمية لذلك . ولكنه عندما ذهب الى جنوب أفريقيا ، ورأى الخطوط الحسنة الجميلة التى كان يكتبها المحامون والشبان هناك ، شعر بالحجل الشديد من رداءة خطه ، وأدرك أن الكتابة بخط ردىء تعتبر علامة ضعف فى الانسان . وبالرغم من ذلك فقد ذكر غاندى أنه عندما ادرك هذه الحقيقة وبدأ فى تحسين خط كتابته ، كان الوقت قد فات .

٣ - الزواج

تزوج موهانداس وهو فى سن الثالثة عشرة . وكانت هذه السن المبكرة تعتبر أمرا طبيعيا ومناسبة للزواج فى الهند فى تلك الأيام . وكان أخوه الأكبر قد تزوج من قبل . وأصر الوالدان على تزويج ابنتهما الثانى وابنتهما الثالث « موهانداس » مع ابن عم لهما فى حفل زواج واحد . وكانت حفلات الزواج تتطلب الكثير من الأموال لشراء الهدايا واقامة مأدب الطعام وشراء الملابس الجديدة . لذلك فقد رأت الأسرة أن إقامة احتفال جماعى بتزويج الأبناء الثلاثة دفعة واحدة

يوفر الكثير وكانت عروس موهانداس قطة صغيرة لم
تذهب قط الى المدرسة . وكان هذا الزواج المبكر
سببا في صرفه عن تحصيل دروسه في المدرسة
الثانوية ، فرسب وأعاد السنة الدراسية . ولكنه
استطاع بمزيد من الجهد فيما بعد أن يدرس علوم
سنتين دراسيتين في سنة دراسية واحدة ، وعوض
بذلك العام الذي فقده .

٤ - أخطاء الشباب

وكان من ضمن زملائه بالمدرسة ، شلب صغير لا يتمتع بأخلاق طيبة . فصادقه موهانداس وهو يعلم هذه الحقيقة وبالرغم من نصائح زملائه الآخرين بالابتعاد عن هذا الشاب . وكان موهانداس يشعر بأنه قادر على تغيير وتحسين أخلاق صديقه .

وكانت أسرة غاندى تؤمن بعقيدة دينية تحرم ازهاق روح أى مخلوق من المخلوقات . ولذلك فقد كانت تحرم أكل اللحم تحريماً قاطعاً . ولكن الصديق أخذ يزين له فوائد أكل اللحوم ويقول له :

اننا ضعفاء .. واستطاع الانجليز أن يتحكموا
فينا لأنهم يأكلون اللحوم .. وأنا أتمتع بجسم قوى
واستطيع الجرى لمسافات طويلة لأنى أكل اللحم ..
وانت أيضا يجب أن تأكل اللحم .. ولتأكل الآن قطعة
منه لترى يتفكك القوة التى ستمنحها لك .. !!

وبدأ موهانداس يصدق بعضا من أقاويل صديقه
فقد كان هو نفسه ذا جسم ضعيف ولا يستطيع القفز
أو الجرى ، كما كان يخاف الظلام لدرجة أنه كان
يحتفظ بالمصباح مشتعلا طول الليل فى غرفة نومه .
ولهذا فقد بدأ موهانداس يقتنع برغبته فى أكل اللحم
برغم أنه كان يكره أن يخدع والديه .

وفى يوم ما تسلل الصديقان الى مكان منعزل
هادئ قرب شاطئ النهر . وهناك تذوق موهانداس
طعم اللحم لأول مرة فى حياته . وأكل قطعة صغيرة من
لحم الماعز . وشعر بالغشيان . ومع ذلك فقد استمر
صديقه فى اعطائه قطعة من اللحم بين حين وآخر وعلى
مدى عام كامل . الى أن توقف تماما عن فعل ذلك

معلنا أن أسوأ ما فى هذه الدنيا أن يخذع أباه وأمه بمثل هذه الطريقة . وبطبيعة الحال فلم يعرف والداه شيئا عن هذا الموضوع ، ولكن منذ تلك اللحظة ، توقف غاندى عن أكل اللحوم طوال بقية حياته .

وفى أثناء تلك الأيام أيضا بدأ موهانداس و صديق له يدخان السجائر ، ليس عن رغبة أو كيف أو مزاج ، وإنما ليقبلا الكبار عندما ينفنون الدخان من أفواههم وأنوفهم . ولما كان موهانداس وصديقه لا يملكان نقودا كافية لشراء السجائر ، كما أن بقايا السجائر التى كانا يجمعانها لم تعد كافية ، لذلك فقد اضطرا لسرقة قليل من النقود من خدم المنزل . وعندئذ توقف موهانداس عن التدخين بصفة نهائية باعتباره عملا غير نظيف ومؤلم .

وكانت مثل هذه الأعمال تسبب الكثير من القلق والاضطراب للفتى موهانداس ، الذى كان يريد أن يبنى حياته على الصدق والحقيقة . فقد كان يعرف أن خداع والديه ومخالفة الأوامر والنواهي التى تنص عليها

عقيدته الدينية ، تعتبر من الأعمال الشائنة التى توصم بعدم الاخلاص وعدم الأمانة .

وكان هناك حادث آخر يتعلق بأحد أخطائه الكبرى . فعندما كان فى الخامسة عشرة من عمره ، سرق قطعة صغيرة من الذهب من أخية الأكبر . وقد تألم موهانداس كثيرا بعد ارتكاب هذه الجريمة . وأخذ يؤنب نفسه بشدة على قيامه بهذه الفعلة الشنعاء . وأخيرا كتب رسالة شرح فيها جريمته ، وطلب توقيع العقاب المناسب عليه ، ووعد فى الوقت نفسه بعدم العودة الى مثل هذا فى المستقبل .

وتقدم وهو يشعر بخجل شديد من نفسه وأعطى الرسالة لأبيه الذى كان راقدا على فراش المرض ووقف ينتظر . . وقرأ الأب الرسالة بعناية شديدة ، فطفرت الدموع من عينيه . وببطء شديد أخذ الأب يمزق الرسالة .

لقد توقع موهانداس أن يسمع كلمات غاضبة،
ويتلقى عقاباً صارماً ، ولكن مشاعر الحب التي عمر
بها قلب الأب ، ظلت راسخة في ذهن الفتى الصغير
الذي لم ينس هذا الفضل لأبيه طوال حياته .

٥ - فى انجلترا

وفى سن الثامنة عشرة ، التحق غاندى باحدى الكليات . ولكنه لم يستمر الى بقية العام الدراسى ، لأنه لم يتجاوب مع الدروس التى كانت تلقى فى تلك الكلية . لذلك فقد نصحوه بأن يتوجه الى انجلترا ليدرس القانون ويصبح محاميا . ولم يكن ذلك بالشئ اليسير الهين .

كان* من الصعب عليه أن يترك الهند ليذهب الى بلاد أجنبية يضطر فيها الى أن يأكل ويشرب مع الأجانب . وكان ذلك أيضا ضد تعاليم عقيدته الدينية

وقد وقف بعض رجال الدين ضد ذهابه ، ولكن بالرغم من ذلك كله ، أبحر موهانداس الى انجلترا وهو فى سن الثامنة عشرة ، تاركا وراءه زوجة وابنا صغيرا .

وعلى ظهر السفينة ، ارتدى موهانداس لأول مرة فى حياته ثيابا أجنبية أهداها اليه أصدقائه . واحتفظ بثيابه الهندية البيضاء لحين الوصول الى انجلترا . وعندما وصلت السفينة الى لندن ، اكتشف موهانداس أنه الوحيد الذى يرتدى ملابس بيضاء خفيفة ، مع أن الوقت كان فى نهاية الخريف وبداية برد الشتاء . ولم يستطع موهانداس أن يغير ملابسه لأن حقائبه أصبحت معدة للنزول من على ظهر السفينة .

وفى الأيام الأولى لاقامته فى لندن ، صادفته مشكلتان طريفتان . وكانت المشكلة الأولى منهما تتعلق ببحثه عن الطعام المناسب . فعلى عكس معظم الهنود الذين كانوا يعيشون فى انجلترا ، أصر غاندى على التمسك بعقيدته الدينية التى تحرم أكل اللحوم . ولم يكن هذا بالأمر السهل فى بلد كانجلترا ..

وكم كان سروره عندما اكتشف مطعما للنباتيين
لا يقدم لزبائنه أى طعام يتضمن لحما من أى نوع كان .
وعلم أن كثيرين من الانجليز نباتيون لا يأكلون اللحم
الأسباب صحية . وقد سره كثيرا أن يرى العلم يؤيد
تعاليم عقيدته الدينية فى تحريم أكل اللحوم . ثم
تعلم فيما بعد أن يشتري الخضراوات من السوق
ويقوم بطبخها لنفسه فى حجرته .

أما المشكلة الثانية فتتعلق بأنه كان يرغب فى أن
يلعب دور « الجنّتلمان » الانجليزى فهو وان كان لا
يستطيع أن يأكل ما يأكله الجنّتلمان ، الا أنه يستطيع
أن يلبس مثل ملابسه ويتصرف مثل تصرفاته .
فاشتري ملابس جديدة وقبعة عالية من الحرير ، وأرسل
خطابا لأخيه الأكبر يطلب منه أن يرسل اليه سلسلة
ذهبية للساعة . وأخذ ينفق جزءا كبيرا من وقته كل
صباح أمام المرأة لكى يرتدى ملابسه ويسرح شعر
رأسه الكثيف .

وبناء على نصيحة بعض الاصدقاء ، بدأ فى تعلم

الرقص الغربى ، وتلقى دروسا فى اللغة الفرنسية ،
كما بدأ فى تعلم العزف على احدى الآلات الموسيقية ،
وكيفية القاء الخطب . ولكن هذا كله لم يغنه شيئا ،
واخذت أمواله تتبخر بسرعة . وفى نهاية الشهر
الثلاثة الاولى ، رأى أنه لم يستفد من وقته بطريقة
جيدة ، فتوقف عن هذا كله ، وبدأ فى دراسة
القانون .

وفى ذلك الوقت أيضا بدأت قراءته الحرة فى
العقائد والأديان . وعندما طلب منه بعض الاصدقاء أن
يساعدهم على فهم كتاب « الجيتا » وهو الكتاب المقدس
فى العقيدة الهندوسية ، وجد فى ذلك سعادة غامرة ،
وازداد ايمانه بهذا الكتاب ، حتى أصبح يعتقد أنه
الكتاب الوحيد الذى يتضمن أفضل طريقة لمعرفة
الحقيقة .

ثم بدأ فى قراءة « الانجيل » . وقد سره كثيرا
أن يدرك أن بعض تعاليم المسيح تشبه الى حد بعيد
بعض تعاليم كتاب « الجيتا » .

وأعجب كثيرا بعظمته وشجاعته وبأسلوب الحياة
البسيطة التي كان يحياها .

ومن نتيجة هذه القراءات والدراسات تبين له أن
الحقيقة التي يحبها لا توجد كلها في ديانة أو عقيدة
واحدة .

٦ - العودة للهند

وبعد أربع سنوات متوالية من دراسة القانون ، اجتاز غاندى الامتحان النهائى وحصل على الشهادة فى سنة ١٨٩١ • وقرر العودة الى الهند •

وبمجرد وصوله أخبره بعض أصدقائه بخبر موت أمه • وكان لهذا الخبر وقع الصدمة الشديدة فى نفسه • فحزن كثيرا مثلما حزن لموت أبيه قبل ذهابه الى انجلترا •

ولم تكن السنوات القليلة التالية لوصوله الى الهند سنوات سعيدة • حيث وجد أن عمله كمحام عمل لا

يسره ، وأدرك أن هذه المهنة لا تناسبه ، وفى احدى
المرات بينما كان فى المحكمة ، كاد يغمى عليه ، وعندما
جاء دوره فى المرافعة لم يستطع أن ينطق بكلمة واحدة .
ولذلك فلم يكن هناك مناص من التغيير .

وسنحت فرصة التغيير عندما طلب منه التوجه الى
جنوب أفريقيا للتعاهم مع أحد أثرياء التجار الهنود الذى
كان يحاول الحصول على مبلغ كبير من المال من أحد
أفراد أسرة غاندى . وفى سن الرابعة والعشرين ، توجه
غاندى الى « دربان » فى جنوب أفريقيا .

٧ - فى جنوب أفريقيا

واكتشف غاندى بمجرد وصوله الى جنوب أفريقيا أن أحوال معظم الهنود الذين يعيشون هناك ليست على ما يرام ، ويعانون ظروفًا سيئة وصعبة أظهرها التفرقة العنصرية بينهم وبين البيض . وقد عرف غاندى هذه الحقيقة المؤلمة عندما ذهب الى المحكمة ، وكان يلبس على رأسه عمامة هندية برغم أنه كان يرتدى ملابس أجنبية . فأمره القاضى بأن يخلع تلك العمامة ، ورفض غاندى أن يخلع عمامته واضطر الى مغادرة المحكمة . وسرعان ما انتشرت حكاية هذه العمامة فى جميع أنحاء جنوب أفريقيا .

وكان الهنود الذين تركوا أوطانهم بحثا عن فرص
للعمل فى أفريقيا ، يعتبرون أدنى مرتبة من المستوطنين
البيض ، وكانوا يسمون باسم « كولى » أى غير المهرة .
وبعد أيام قليلة أوفده موكله التاجر الهندى
« عبد الله شيت » الى مدينة أخرى بجنوب أفريقيا لانتهاء
بعض الأعمال . فحجز تذكرة بالدرجة الأولى فى قطار
السكك الحديدية المسافر الى تلك المدينة . وفى أثناء
السفر ، استاء أحد الرجال البيض من وجود غاندى
بعربة الدرجة الأولى المخصصة للبيض وحدهم . فقام
الرجل الأبيض باستدعاء عامل القطار الذى طلب من
غاندى متغادرة العربة فوراً . ولكن غاندى أجاب بأنه قد
اشترى تذكرة بالدرجة الأولى ومن حقه أن يركب بعربة
الدرجة الأولى بناء على ذلك . وعندئذ تدخل أحد رجال
الشرطة وأجبره بالقوة على مغادرة القطار .

وفى اليوم التالى حدث شئ أسوأ من ذلك . فعندما
أراد أن يركب احدى عربات السفر التى تجرها الخيول ،
رفض البيض ركوبه بداخل العربة وأجبروه على الجلوس
بخارجها جوار السائق . ومع ذلك رفض حارس العربة

أن يجلس غاندى فى هذا المكان واعتدى عليه بالضرب .
وكاد أن يقضى عليه لولا تدخل بعض الركاب البيض
الذين أوقفوا الحارس عند حده .

وعندما وصل غاندى الى المدينة توجه الى أحد
الفنادق ليحجز حجرة يقيم فيها ، الا أنه تلقى صدمة
شديدة حين رفض موظفو الفندق اعطائه الحجرة بل
وقاموا بطرده من الفندق فوراً . وهكذا توالى سلسلة
من الحوادث والامانات التي جعلت غاندى مقنننا تماماً
بأن الهنود فى حاجة الى من يساعدهم على الحياة الكريمة
فى أفريقيا .

ولم يكن غاندى يرى فى نفسه القدرة أو الصلاحية
للقيام بهذا الدور ، لذلك فقد ارنضى لنفسه أن يعيش
كما يعيش أفقر فقراء الهنود فى جنوب أفريقيا . وكان
يسافر فى عربات الدرجة الثالثة كلما اقتضى الأمر
الى أي مكان . ومع ذلك فقد كان يحس بالألم والمرارة
حين يرى الهنود من أهل وطنه وهم يعاملون مثل هذه
المعاملة المهينة . فحاول بقدر ما يستطيع أن يواجه هذا
الظلم ، وهذه المعاملة المتعالية التي لا تعرف العدل .

وبعد فترة من الوقت ، أدرك غاندى أن من الأفضل بالنسبة لموكله التاجر الهندى وبالنسبة لخصمه وهو تاجر هندى آخر ، أن يتفق الخصمان فيما بينهما ويصفيا مشاكلهما بطريقة ودية ودون اللجوء الى المحاكم . وبعد مجهود كبير استجر شهورا ، إستطاع غاندى أن يوفق بين التاجرين وجعلهما يتفقان على تحديد المبلغ المطلوب دفعه ، ويتفقان أيضا على طريقة دفع هذا المبلغ .

وكان هذا النجاح سببا فى اقتناع غاندى بأن معظم المشاكل التى تنشأ بين الناس ، يمكن لوسطاء الخير أن يحلوها بسلام وبطريقة ودية

وفى خلال نفس السنة قابل غاندى مجموعة من الهنود المسيحيين الذين طلبوا منه . اعتنق المسيحية متلهم ، ومجموعة أخرى من الهنود المسلمين الذين كانوا يحضونه على اعتناق الاسلام . وكان غاندى قد قرأ كثيرا من الكتب التى تتعلق بكل من الانجيل والقرآن . ولكنه كان فى نفس الوقت يقرأ الكتب التى تتعلق بديانته الهندوسية ، وكان يجد فى هذه الكتب الأخيرة سعادة عميقة وسلاما تاما .

وفى نهاية تلك السنة ، انتهى العمل مع موكله
« عبد الله سَيت » وقرر غاندى أن يعود الى الهند .
وفى حفلة العشاء التى اقيمت لتوديعه فى مدينة دربان ،
ناقش المحتفلون به قانونا جديدا أصدرته سلطات جنوب
أفريقيا لتقييد حرية الهنود وحرمانهم من بعض الحقوق .
ونتيجة لهذا النفاس قرر المجتمعون أن يبقى غاندى فى
جنوب أفريقيا ، ليعمل من أجل حقوق الهنود الذين
يعيشون هناك .

وهكذا بدأت عشرون سنة من العمل الشاق
لصالح الهنود فى جنوب أفريقيا .

٨ - بداية كفاحه

وبعد انقضاء السنوات الثلاث الأولى ، عاد غاندى الى الهند لزيارة استمرت بضع شهور انتهت بأن عاد الى جنوب أفريقيا مرة أخرى مصطحبا معه زوجته وابنيه . وفى أثناء تلك الزيارة حاول غاندى بكل الطرق أن يشرح للشعب الهندى مدى الاهدانات والمعاملة السيئة التى يعانيتها الهنود الذين يعيشون فى جنوب أفريقيا . وألقى كثيرا من الخطب وكتب كثيرا من المقالات حول هذا الموضوع . ولكن أخبار هذه الخطب والمقالات وصلت الى المستوطنين البيض فى إقليم ناتال بجنوب

أفريقيا قبل وصول غاندى الى هناك بمدة كافية .
وما أن وصل غاندى ونزل من السفينة التى أقلته ،
حتى تعرف عليه بعض المستوطنين البيض فأخذوا
يصيحون : « غاندى . غاندى !! » . فتجمع على الفور
جمهور كبير من هؤلاء المستوطنين وأخذوا يقذفونه
بالحجارة والبيض وبدأوا يضربونه ضربا مبرحا . وكادوا
أن يقضوا عليه فعلا لولا شجاعة امرأة انجليزية هى فى
نفس الوقت زوجة لرئيس الشرطة . لقد كافحت هذه
المرأة الشجاعة لحماية غاندى حتى وصل بعض رجال
الشرطة وأدخلوه الى مناهم . ومع ذلك فقد استمر
تظاهر المستوطنين البيض وانظروا خروجه . ولكن
غاندى خرج من الباب الخلفى للمبنى متنكرا فى زى
رجل شرطة من الهنود . فى نفس الوقت الذى كان
يحاول فيه رئيس الشرطة تهدئة المستوطنين المتجمعين
امام البوابة الرئيسية للمبنى .

ومن المستحيل حصر جميع الحوادث التى وقعت
خلال سنوات اقامة غاندى فى جنوب أفريقيا لمساعدة
الهنود وتحسين أحوالهم وحث الحكومة على معاملتهم

بطريقة عادلة . لقد رفض أن يشغل وظيفة تدر عليه أموالا طائلة وذلك من أجل مساعدة الفقراء والمؤسسات الذين ندر حياتهم من أجلهم .

وكانت زوجته تساعد في جميع أعماله ، ومؤمنة بجميع أهدافه ، وتشجعه على البذل والعطاء أكثر وأكثر .

ومن خلال كفاحه في جنوب أفريقيا ، اكتسب غاندى ايمانا لا حد له ببعض طرق الكفاح التي اتبعها فيما بعد ضد المستعمرين الانجليز في وطنه الأم . .
لقد آمن غاندى بالقوة الروحية الكامنة في الانسان . .
تلك القوة التي تمكنه من مواجهة الشر ومكافحة القوة . .
لكن ليس بالبغض ولا بالكراهية واستعمال العنف ،
رأى بالحب وبالهسء . . ورفض اطاعة الأوامر والقوانين الجائرة .

وكان على كل من يعتنق هذه المبادئ من أتباع غاندى ، أن يمتنع تماما عن العمل مع الحكومة . . وأن يمتنع أيضا عن طاعة أى قانون ظالم . . وعندئذ لن

تستطيع الحكومة أن تفعل شيئاً ، أو ستصبح على الأفل
محدودة القدرة على مواجهة مثل هذا الموقف .

وقد تعرض غاندى للمسجن فى مرات كثيرة ، ومع
ذلك فقد ظل أتباعه ينفذون مبادئه وتعاليمه .

وعندما ترك غاندى جنوب أفريقيا فى عام ١٩١٤ ،
كانت أحوال الهنود الذين يعيشون هناك قد تحسنت
كثيرا عما كانت عليه قبل حضور غاندى الى تلك البلاد .

٩ - العمل من أجل فقراء الهند

وما أن وصل غاندى الى الهند فى بداية الحرب العالمية الأولى ، حتى وجد صدى طيبا لكفاحه فى جنوب أفريقيا ، فقد كان شعب الهند يتابع هذا النضال باعجاب كبير ، واعترفوا به على الفور كقائد وزعيم ، وأطلقوا عليه لقب « المهاتما » ومعناه الروح الكبير .

واختار غاندى محل اقامته بالقرب من مدينة « أحمد آباد » وأسس هناك معتزلا دينيا سماه « الأشرام » ودعا شعب الهند للانضمام اليه بصرف النظر عن أجناسهم أو عقائدهم الدينية . ولا يطلب منهم

سوى الالتزام والايمان بمبادئ معينة هي :

- ١ - أن يقولوا الصدق دائما .
- ٢ - ألا يحاربوا أو يكرهوا الناس الآخرين .
- ٣ - ألا يأكلوا الا القدر الضروري من الطعام الذى يكفى للمحافظة على صحتهم .
- ٤ - ألا يمتلكوا شيئا لا ضرورة له .

وكانت طبقة « المنبوذين » تعتبر أخط الطبقات طبقا للعقيدة الهندوسية . ولم يكن مسموحا لهم الا بالعمل فى أخط الأعمال . ومع ذلك فقد سمح غاندى للمنبوذين أن ينضموا الى « الأشرام » مثلهم مثل غيرهم سواء بسواء .

ولكن عندما كانت تنضم احدى عائلات المنبوذين الى جماعة غاندى ، كانت المشاكل تبدأ على الفور . فيظلوا منبوذين من بقية افراد الجماعة ، كما أن أثرياء الهندوس الذين كانوا يقدمون بعض الأموال لمساعدة الجماعة امتنعوا عن ارسال مساعداتهم حتى لا تصل الى

هؤلاء المنبوذين • فماذا فعل غاندى لمواجهة هذا الموقف ؟

قرر غاندى على الفور أن يضع خطة لنقل جميع أعضاء جماعته وهو على رأسهم الى الأحياء التى يعيش فيها المنبوذون • وأن على أعضاء الجماعة أن يكسبوا عيشهم بأداء نفس الأعمال المنحطة التى فرضت على هؤلاء المنبوذين •

وفى أثناء قيام غاندى بأعداد تلك الخطة جاء أحد كبار التجار المسلمين ، واستأذنه فى أن يقبل بعض الأموال كمساعدة منه للجماعة • وفى اليوم التالى أحضر هذا التاجر المسلم أموالا تكفى لمساعدة الجماعة عاما بأكمله • وقال غاندى فى ذلك : « ان الله قد ساعدنا فى اللحظة الأخيرة ! » •

وكانت هذه أولى الخطوات – وتبعتها فيما بعد خطوات كثيرة – لتغيير وتحسين وضع المنبوذين فى الحياة الهندية •

ومنذ هذا الوقت وحتى آخر أيام حياته ، كان

المهاتما غاندى لا يرندى الا ثوبا من القطن المحلى ، غزل
ونسج فى بيته .

وكان يؤمن ايمانا مطلقا بأن أهم هدف لحياته ،
هو مساعدة الفقراء ، وتحسين أحوال الكادحين من
الناس ، ومساعدة شعبه بكل ما يمكنه ويستطيعه .
ولكن بشرط واحد ، هو عدم استعمال العنف .

وذات يوم ذهب ليرى الأحوال السيئة التى يعيش
فيها مجموعة من فقراء الفلاحين الذين يعملون فى احدى
المزارع ، فالتف حوله مئات ومئات من الناس . . . جاءوا
ليروا هذا الصديق الذى يريد مساعدتهم . . . وجاء
رجال الشرطة وأمروه بالانصراف ، ولكنه أعلن رفضه
لتنفيذ الأمر ، فقبضوا عليه . وفى المحكمة شرح للقضاة
السبب فى رفضه لتنفيذ الأمر ، وطلب من المحكمة ان
توقع عليه عقوبة عدم تنفيذ الأمر وعدم طاعة القانون .
ولكن المحكمة لم تستطع أن تفعل شيئا أمام هذا المنطق ،
فأمرت بإطلاق سراحه .

واعتبرت هذه المحاكمة أول خطوة لاتجاه جديد

ذاع وشاع وأصبح مألوفاً في كل أنحاء الهند ، وهو
رفض الأوامر والقوانين الجائرة مع الاستعداد الهادئ
لتحمل عقوبة هذا الرفض أو العصيان .

١٠ - مسيرة نحو البحر

ورويدا رويدا بدأ شعب الهند يدرك تعاليم غاندى التى تدعو الى مكافحة القوة بالحب ، بدلا من مكافحة القوة بالقوة . وفى سنة ١٩٣٠ وقعت حادثة مشهورة سميت باسم « مسيرة الملح » !

أصدرت الحكومة قانونا بمنع الناس من صناعة الملح من ماء البحر ، وذلك لاجبار الناس على شراء الملح من الحكومة .

واعتبر غاندى هذا القانون ظلما وجائرا ويجب على الهنود أن يرفضوه . وأعلن للشعب أنه سيقود



غاندى .. أثناء المسيرة ..

مسيرة من أتباعه منجها نحو البحر الذى يبعد نحو مائتى ميل • وهناك سيعلم رفضه لهذا القانون ويصنع بنفسه ملحا من ماء البحر •

وعلى مدى ثلاثة أسابيع متصلة ، وعلى مسمع من جميع أنحاء العالم الذى كان يتتبع أنباء تلك المسيرة أولا بأول ، وبينما كانت الاضطرابات تشتعل فى معظم أنحاء الهند ، واصل المهاتما غاندى مسيرته بثبات وليس على جسمه الضئيل سوى الثوب القطنى الأبيض الذى غزل خيوطه ونسجها بيديه •

وعلى طول الطريق كانت جماهير الهنود تخرج من قراها للانضمام الى تلك المسيرة •• حتى وصلوا جميعا الى شاطئ البحر • وهناك صنع غاندى بنفسه حفنة من الملح رمزا لمخالفة القانون الجائر • وأعلن أن الله قد وهب البحر للناس ولا يمكن لحكومة من البشر أن تحول بين الناس وخير البحر !

وبطبيعة الحال فقد سجنته الحكومة لمخالفته لقانون الملح • ولكنه خرج من السجن بعد العقوبة ليواصل كفاحه من أجل شعب الهند •

١١ - حكومة ذاتية لشعب الهند

وبدأ ب الهند للحصول على الاستقلال
وتكوين حكومه من أبناء الشعب دون تدخل من
المستعمرين الانجليز . وكتب غاندى العديد من المقالات
ضد الحكومة البريطانية التى وقفت ضد استقلال الهند
وحريتها . كما كتب المقالات وألقى الخطب نحث الهنود
على أن يكونوا أهلا للحكومة الذاتية وأن يواصلوا
كفاحهم بدون استخدام العنف حتى ولو استخدم
المستعمرون العنف ضدهم . بل ووقف بحزم ضد
أعمال العنف التى كانت ترتكبها بعض فئات الشعب .
وأودع غاندى فى السجن عدة مرات بسبب ما كان

يعلنه أو يكتبه أو يفعله • وعندما قام بعض أتباعه باستخدام العنف ضد الحكومة ، أعلن غاندى صيامه واضرابه عن الطعام حتى الموت اذا لم يتوقف هذا العنف •

وهكذا أصبح أتباعه يزدادون كل يوم عددا وقوة • وكان الناس يتجمعون بأعداد غفيرة لرؤيته وسماع خطبه • كما أن أية مقالة كان يكتبها كانت تقرأ على الفور فى جميع أنحاء الهند • ووفد اليه زعماء الهند وقادة الشعب الهندى من كل الأرجاء ، بل ووفد اليه الزعماء المناضلون ضد الإستعمار من مختلف شعوب العالم •

لقد كان الكفاح الذى قاده هذا الزعيم العظيم من أجل حصول بلاده على الاستقلال شاقا ومضنيا ولكنه تكلل فى النهاية بالنجاح • • وبعد كل هذه السنوات الطويلة من الأحزان والمآسى ، صدر اعلان استقلال الهند • وكان من المفروض أن يكون الرجل الذى قاد هذا الكفاح حتى النصر من أسعد السعداء • ولكن الحال كان على العكس •

كان غاندى يشعر بالألم والمرارة بسبب الخلافات
والاضطرابات التى نشبت بين المسلمين والهندوس
والتي كانت سببا فى تقسيم الهند الى دولتين : الهند
للهندوس وباكستان للمسلمين . وشعر غاندى بكل
الألم والمرارة نتيجة لهذا التقسيم .

١٢ - عندما اقتربت النهاية

نشبت اضطرابات فظيعة فى معظم أنحاء الهند ،
خصوصا فى المناطق والولايات التى كان يعيش فيها
الهندوس والمسلمون جنبا الى جنب .

شب القتال بين الطائفتين . وقتل مئات من
الرجال والنساء والأطفال من الطرفين . وأصبح مئات
الالوف من الناس بلا مأوى ويتعرضون لمختلف أنواع
العذاب والعناء .

وبينما كان هذا الصراع الرهيب على أشده فى
مختلف مناطق الهند ، كانت المنطقة التى يعيش فيها

غاندى هادئة وتوقف فيها صراع المسلمين والهندوس تماما ، وذلك بعد أن أعلن غاندى صيامه واضرابه عن الطعام حتى يتوقف هذا الصراع . ونظرا لأن غاندى كان محبوبا ومحترما من جانب كل من المسلمين والهندوس ، فقد توقف الصراع بالفعل .

ولكن حياة هذا الزعيم العظيم كانت قد اقتربت من نهايتها . ففي يوم ٣٠ يناير سنة ١٩٤٨ ، وبينما كان يمشى ببطء خارجا من بيته متجها الى معبد قريب لأداء الصلاة ، ووسط جمهور حافل اجتمع لمشاهدته وللاشتراك معه فى صلاته ، اندفع شاب « هندوسى » من بين الناس وأطلق الرصاص على غاندى ، ظنا منه أنه يقف الى جانب المسلمين أكثر من وقوفه الى جانب الهندوس .

وبعد دقائق خرج أحد الرجال من البيت الذى نقل اليه الزعيم المصاب ، وأعلن للناس الذين تجمعوا : أن غاندى قد مات ؟

وفى نفس الليلة ، أعلن الزعيم الهندى « بانديت نهرو » من اذاعة الهند :

« لقد انطفأ النور من حياتنا .. وحل الظلام فى كل مكان .. لقد رحل الأب الروحى لأمتنا .. ان خير صلاة نقدمها لروحه هى أن نتمسك بأهداب الصديق .. وأن نواصل رسالته النبيلة التى عاش من أجلها ومات من أجلها .. » .

وبعد أيام قليلة من هذا الحادث ، وطبقا لتعاليم الديانة الهندوسية ، أحرق جثمان غاندى أمام جمهور غفير ، ونشر رماده فوق أنهار الهند المقدسة ~

وهكذا انتهت حياة رجل من أعظم الرجال فى هذا العالم .

فلورنس نايتنجيل

« حاملة المصباح »

هل مرضت يوما ودخلت الى المستشفى ؟ ..
أو هل زرت يوما صديقاً لك مريضاً فى إحدى
المستشفيات .. ؟

اذن .. لا بد أنك قد لاحظت الهدوء فى هذه
المستشفى ، وأن كل شىء فيها نظيف ومرتب .. !
ولا بد أنك لاحظت أيضاً عدداً من الممرضات فى
أرديتهن البيضاء ، وهن ينتقلن من سرير الى سرير ،
ليرعين المرضى ، وينفذن أوامر الأطباء ..

هؤلاء الممرضات يبذلن جهوداً كبيرة ، وتراهن
دائماً هادئات ودودات ، يعملن كل ما فى وسعهن لجعل
حياة المرضى أكثر راحة ، وأقل ألماً ..

وعندما يغادر الانسان المستشفى ، يبقى فى



ذاكرته ما لاقاه هناك من مهارة الأطباء ورعاية
المرضات .

ولكن المستشفيات لم تكن دائما فى مثل هذه
الحال . ولم تكن الممرضات على مثل ما هن عليه الآن
من نظافة ومعاونة وسلوك حسن .

فى الماضى كانت المستشفيات مختلفة تماما عما
هى عليه الآن ، وكان الناس يخافون دخولها .

أما السبب فى هذا التغيير العظيم الذى حدث فى
نظام المستشفيات ، فيرجع بصفة رئيسية الى فتاة
شابة ، اسمها « فلورنس نايتنجيل » وكانت تسمى
أيضا « حاملة المصباح » .

١ - فى بداية حياتها

فى سنة ١٨٢٠ ، كان مستر ومسز نايتنجيل -
والدا فلورنس - يقومان بجولة فى أوربا . وفى مدينة
فلورنسا بإيطاليا ، وضعت الأم طفلة أطلقوا عليها اسم
« فلورنس » وهو اسم للمدينة الإيطالية باللغة
الإنجليزية .

وكان للوالدين ابنة أخرى عمرها سنتان وقد
سميها « بارثينوب » أو « بارثى » وهو اسم مدينة
نابولى بإيطاليا باللغة اليونانية . ذلك لأن هذه الابنة
قد ولدت فى الأخرى بتلك المدينة .

وبعد مولد الابنة النانية « فلورنس » عادت الأسرة كلها الى وطنها فى انجلترا .

كان الوالدان من الطبقة الراقية . ولكن يبدو أنهما كانا على غير وفاق مع بعضهما . كانت الأم سيدة جميلة ، مرحة ، نتصف بشئ من الأنانية ، وتحب الحياة الممتلئة بالمباهج والأشياء السارة .

أما الأب فكان رجلا لطيفا طيبا ، ولكنه كان يحب الكسل ، ومقتنعا بقضاء أيامه فى صيد الحيوانات وصيد الأسماك ، أو فى قراءة الكتب والسياسة فى مختلف البلدان . وكان ثريا لديه من الأموال ما يغنيه عن القيام بأى عمل جاد .

وبعد أن نمت الوليدة « فلورنس » وأصبحت طفلة صغيرة . عاشت حياة بعيدة عن السعادة . كانت مختلفة عن البنات الصغيرات اللاتى يماثلنها فى العمر فى أشياء كثيرة .

والغريب أنها كانت لا تشعر بالسعادة ، رغم أن بيتها كان حافلا بكل المسرات . فلديها ولدى أختها

مجموعة من الحیول والكلاب والقطط والطيور الملونة .
وكانت فلورنس تشعر بأن كل هذه المسرات لا تهملها ،
وترى أن الحياة فى بيت أبيها ليست الحياة التى تريدها
لنفسها .

كانت تتمتع بقدر كبير من الخيال ، فتهرب دائما
الى عالم الأحلام . . وكانت تؤلف قصصا تحكيها
لنفسها ، وكانت تعطى لنفسها دور البطلة فى تلك
القصص . . ولشدة انغماسها فى عالم الخيال ، أصبحت
تحس بعدم وجود أية علاقة تربطها بأهلها .

وكانت الأختان « بارثى » و « فلورنس » تتلقيان
دروسهما فى البيت على يدى الأب واحدى المدرسات التى
كانت تحضر الى البيت لتعليم البنين . وكان الأب
يدرس لهما أصول اللغة والتاريخ . ولاحظ الأب منذ
البدایة أن « بارثى » غير مُقبلة على تلقى الدروس وأنها
كانت تفضل البقاء مع أمها فى غرفة المعيشة ، وذلك
على عكس « فلورنس » التى كانت تفضل البقاء مع
أبيها فى المكتبة لتلقى المزيد من العلم والمعرفة . وكا
لهذا الانقسام الذى حصل فى الأسرة نتائج غير سارة

ويمكننا الآن أن نعرف الكثير عن المشاعر
والإحاسيس الداخلية التي كانت تعتمل في نفس
« فلورنس نايتنجيل » لأنها كانت حريصة - منذ
صغرها - على كتابة أفكارها ووصف مشاعرها . كانت
تصب على الورق كل ما كان يدور بعقلها وكل ما يعتمل
في صدرها . وكانت تكتب على كل أنواع وأشكال
ومقاسات الورق وقصاصاته . ومازال الكثير من هذه
الورقيات محفوظة حتى الآن ، ويمكن قراءة ما دوتته
فلورنس من أفكار ومشاعر في هذه السنين المبكرة ثم
بعد ذلك في مختلف مراحل عمرها .

٢ - أصوات تناديهـا

وفى سن السابعة عشرة ، حدث شئ هام جدا
فى حياتها -- شئ يشبه ما حدث من قبل للفتاة
الفرنسية « جان دارك » . ففى احدى الأوراق التى
كتبتها فلورنس فى هذه السن نقرأ ما يلى : « فى ٧
فبراير ١٨٣٧ سمعت صوتا ينادينى من السماء ويدعونى
لكى أكرس حياتى لخدمة الله » .

ولم يكن الصوت حلما من الأحلام ، وانما كان
صوتا حقيقيا وصفته فلورنس بأنه كان صوتا عاليا
ينطق الكلمات بوضوح .

وربما نقول ان ذلك ليس غريبا بالنسبة لفتاة صغيرة فى السابعة عشرة من عمرها وتعيش فى عالم من الخيالات والأحلام . ولكن فلورنس بعد أربعين سنة من هذا التاريخ كتبت فى مذكراتها أنها سمعت هذا الصوت أربع مرات خلال حياتها .

ولكن هذا الصوت الذى دعاها الى أن نكرس حياتها لخدمة الله ، لم يوضح لها كيف تقوم بهذه الخدمة ، أو ما هو نوع هذه الخدمة بالضبط وكيفية ومكان أدائها . . وكانت فكرة التمريض بعيدة تماما عن عقلها فى ذلك الوقت . . برغم أنها كانت تحرص تماما على أداء دور الطبيب لعرائسها ودماها ، كما كانت تعتنى بصحة حيواناتها وطيورها ، وتعطف كثيرا على الرضع والأطفال الصغار .

وكتبت فلورنس أيضا ، أنها أصبحت تحسن بالسلام النفسى بعد سماع هذا الصوت ، وأنها على يقين من سماع هذا الصوت مرة أخرى .

٣ - التجارب الأولى

مرت سنوات عديدة قبل أن تتضح الأمور .
وكانت سنوات كئيبة صعبة . . لقد سافرت الى أوروبا
فترة ، ولكنها كانت لا تستريح الا فى لندن . برغم
ما فيها من التعاسة وسوء التفاهم بينها وبين أمها
وأختها .

وحدثت مناسبتان جعلتاها تؤمن بأن طريق
حياتها هو الخدمة فى المستشفيات والعناية بالمرضى .
فقد مرضت جدتها لأمها فقامت برعايتها . كما مرضت
سيدة عجوز أخرى كانت تخدم فى المنزل لمدة طويلة .

فقامت برعايتها هي الأخرى . ثم بدأت ترعى المرضى الآخرين من أهالى القرية التى كانت تعيش فيها .

وتعلمت فلورنس من هذه التجارب شيئا هاما ، هو أن التمريض أمر قاصر على النساء فقط ، ويجب على السيدة أو الفتاة التى تمارس التمريض أن تكون طيبة وعطوفة ولا تمل من مساعدة المرضى .

وقد اقتنعت فلورنس أيضا بضرورة أن تكون الممرضة مؤهلة ومدرّبة على القيام بواجباتها وأن تعرف أيضا متى وكيف تقوم بهذه الواجبات . ولكن الأهم من هذا كله هو كيف تحصل هى نفسها على مثل هذا التأهيل والتدريب .

وفجأة خطرت بذهنها فكرة تتعلق بحل هذا الموضوع . فهناك على مسافة غير بعيدة عن بيها توجد إحدى المستشفيات ، ومدير هذه المستشفى صديق لعائلتها ، وأن عليها الآن أن تطلب من العائلة أن تسمح لها بالعمل فى هذه المستشفى لمدة ثلاثة شهور تتعلم فيها التمريض .

وما أن أعلنت فلورنس رغبتها هذه لأسرتها حتى
هبت عاصفة عاتية من التعاسة . فقد استاء الأب
وتكدر صفوه . فهل بعد كل هذا الجهد الذى بذله
فى تعليمها .. وكل هذه السياحات فى أوروبا .. وكل
هذه الملابس الجميلة الفاخرة التى اشتراها لها من
باريس .. تأتى هذه الشابة الغريبة وتقول أنها تنوى
أن تصبح ممرضة .. !؟

أما أمها فقد وقع عليها هذا الخبر وقع الصاعقة ..
وأصابتها نوبة من الغضب ، ثم انفجرت باكية ..

يا للمسكينة فلورنس .. لم يعد هناك أحد فى
صفها .. كلهم أصبحوا ضدها .. لقد أحسست بالضيق
وفقدت شجاعتها . وكتبت تقول فى هذه الفترة :

« لم أعد أجد مبررا لاستمرار الحياة .. ولن أجد
شيئا آخر لأعمله .. انى أقل شأنا من التراب ..
انى لا شئ على الإطلاق .. ! » .

٤ - المستشفيات فى الماضى

قد يكون من السهل أن نلوم والدى فلورنس لوقوفهما ضده رغبة ابنتهما ، ولكن يجب ألا نتسرع فى الحكم عليهما بذلك . ففى سنة ١٨٤٥ كانت المستشفيات من الأماكن المخيفة . مملوءة بالقذارة والفوضى ، ومزدحمة بالمرضى والآلام ، وتنبعث منها روائح كريهة لا تطيقها الأنوف .

هناك نحو خمسين أو ستين سريرا متجاورة بين كل منها مسافة ضيقة لا تتجاوز نصف المتر . وليس فيها سوى مدفأة واحدة فى أحد الأركان تستخلم فى

فصل الشتاء • وجميع النوافذ مغلقة • وكان المرضى
من أفقر الفقراء الذين يعيشون فى أفقر أحياء المدينة •
وكانوا يلجأون الى المستشفى وهم فى منتهى القذارة ،
ويبقون بها وهم فى منتهى القذارة ، ثم يخرجون منها -
ان بقوا على قيد الحياة - وهم فى منتهى القذارة ••
وكثيرا ما كان المرضى يتصارعون ويتشاجرون فيما
بينهم ، ويسكرون بشرب الخمر الرخيصة ، وكثيرا
ما كان البوليس يتدخل لفض المنازعات واقرار النظام •
وبالاضافة الى كل هذه الأشياء السيئة ، هناك
أسوأ الأشياء على الإطلاق •• الممرضات ! •• وهن
نساء جاهلات لا يعرفن شيئا عن التمريض •• أخلاقهن
سيئة ويسكرون بشرب الخمر الرخيصة طول الوقت •
وتقول فلورنس ان رئيسة الممرضات فى احدى
المستشفيات الكبيرة ، ذكرت لها أنها لم تر طوال
حياتها ممرضة لا تشرب الخمر حتى تسكر وتفقد وعيها !
ومرت ثمانى سنوات بعد أن أعلنت فلورنس
رغبتها فى العمل كممرضة ووقوف أسرتها ضد هذه

الرغبة .. وكانت سنوات صعبة ، لأنها ما زالت مصرة على العمل كمرضة . ورفضت بالتالى أن تتزوج من شاب كانت تحبه ويحبها ، اذ كيف تتزوج وتترك « الخدمة » التى دعاها اليها صوت من السماء .

وخلال تلك السنوات ، لم تغب المستشفيات عن ذهنها أبدا .. قرأت عنها كل ما وصلت اليه من الكتب والتقارير . وتعلمت من المرضى مظاهر وصفات الأمراض التى كانوا يعانونها . وكانت تقسوم فى الصباح الباكر - حتى فى أيام الشتاء الباردة .. لكى تواصل قراءاتها عن المستشفيات وأحوالها السيئة المتردية ، ولكى تزيد من حصيلتها من المعرفة بمختلف أنواع الأمراض ، ثم تنضم بعدئذ الى أسرتها لتعيش معهم الحياة العائلية العادية .

٥ - بداية تحقيق الأمل

وبينما كانت الأسرة فى زيارة لألمانيا فى احدى
المرات ، وبدون اذن من والديها ، عملت فلورنس فى
احدى المستشفيات ٠٠ وكانت فى كل يوم تزده
معرفة وخبرة بأحوال المستشفيات وأحوال المرضى .
وفى الوقت نفسه كانت تزده وثوقا بنفسها وبقينا
بأن الأمل فى تحقيق رغبتها ليس بعيد المنال .

وفى ربيع عام ١٨٥٣ ، دعيت فلورنس للإشراف
على ملجأ للعجائز من النساء الفقيرات اللاتى لا يملكن
أجر العلاج بالمستشفيات . وكانت الجماعة التى تدير

هذا الملجأ قد قررت نفل هذا الملجأ الى بيت آخر ،
وكانت فى حاجة الى متطوعة لتقوم بهذا العمل ،
ولتصبح مشرفة عامة على الملجأ .

وبدون موافقة أهلها ، اتفقت فلورنس على أن
تقوم بهذا العمل دون مقابل ، ولكن بشرط أن توافق
الجماعة على تنفيذ ما تراه وتقرره .

وكان أبوها قد خصص لها خمسمائة جنيه سنوياً
كمصروف شخصى لها . وقد ساعدها فى أن تبدأ
عملها الشاق على الفور ..

أصبحت الآن تقوم بمئات الأعمال بهمة ونشاط
ودون كلل . من العناية بالمريضات الى تلبية طلباتهن
العديدة المتنوعة ، الى اعداد الطعام ، وتسوية الأسرة
والفراش ، الى وضع الفحم فى المدفأة الى آخر تلك
الأعمال الشاقة . ولكنها مع ذلك كانت راضية وسعيدة
بها .

وقد وصف بعض الأصدقاء حالتها فى تلك الفترة
بأنها كانت شابة طويلة مليحة ، تشع بهجة وأملا ،

نرتسم على وجهها ابتسامة عذبة حلوة ، وتغمل مشاعر
الود للجميع .

أما السيدات المريضات فى هذا الملجأ ، فقد
أحببنا بها جما . وقد عبرن عن هذا الحب فى بعض
الخطابات التى أرسلنها اليها . . فهناك خطاب يقول :
« يا أعز انسان وأطيب انسان . . الآنسة نايتنجيل . .
انى أرسل اليك بعض سطور من الحب . . . »
وهناك خطاب آخر يقول : « شكرا لك . . لقد كنت
شمسنا المشرقة التى تحنو علينا . . » .

وبالإضافة الى هذا الجمال والصفات الودية التى
تميزت بها فلورنس نايتنجيل ، كانت تتميز أيضا
بعزيمة صلبة . ولها قدرة فائقة على جعل الناس
يتعاونون مع بعضهم وينظمون أعمالهم على خير وجه .

وكل ما قامت به فلورنس نايتنجيل حتى هذه
اللحظة ، كان مجرد استعداد لعمل كبير ينتظرها . .
وكانت هناك أحداث كبرى على وشك الوقوع . .
أحداث كان لها فيها دور هام لا ينسى . .

٦ - بداية حرب القرم

لقد نشبت الحرب بين انجلترا وروسيا • وأرسل الجيش البريطاني الى القرم على البحر الأسود لمحاربة الجيش الروسى • وكان مقر قيادة الجيش البريطانى فى قرية « سكوتارى » وهى قرية كبيرة تقع بالقرب من استانبول •

وكان الجنود الانجليز يحاربون بشجاعة برغم ما ينقصهم من الكثير من المستلزمات • كانت تنقصهم الخيام ، ويشكون من قلة الطعام ، ومن عدم وجود الأطباء أو الرعاية الطبية اللازمة لجرحى المعارك • وكان

آلاف من هؤلاء الجرحى يسقطون دون أن يهتم بهم أحد ، وكان أغلبهم يموتون بسبب الإهمال فى معالجة جروحهم . فقد كان هؤلاء الجرحى يرقدون على الأرض فى صفوف طويلة دون أى طعام أو ماء أو علاج .

وسقوط الجرحى فى المعارك الحربية يعتبر شيئا معتادا فى الجيوش . ولكن الشعب الانجليزى لم يكن يعلم شيئا عن الحالة البائسة التى يعانى منها جرحى الجيش البريطانى فى حرب القرم . الى أن قام كاتب مشهور من احدى الجرائد الهامة التى تصدر فى لندن ، بزيارة لميدان الحرب ، ورأى الأحوال السيئة فى المعسكرات والمستشفيات الميدانية ، فوصف الكاتب كل ما رآه من أهوال ، ونشرت جريدته قصصا مخيفة تقشع منها الأبدان .

كان الجرحى يجبرون على الانتظار لمدة اسبوع على الأقل قبل أن يفحص الطبيب جروحهم . وكانت هناك لا يمكن معالجتها بسبب عدم وجود الأربطة ، أو بسبب عدم وجود من يقوم بربط هذه الجروح . وبمجرد نشر هذه المقالات فى الجريدة اللندنية ،

غضب الشعب الانجليزى غضبا شديدا . . وثارت عدة
تساؤلات : لماذا هذا النقص الشديد فى الأطباء وفى
المعدات الطبية . . ومن المسئول عن هذا الخطأ الكبير .
وأخذ الشعب يلوم المسئولين فى الحكومة . وكان من
ضمن المومنين شخص يدعى « سيدنى هربرت » وكان
يشغل وظيفة حكومية هامة ، وكان فى نفس الوقت
صديقا ، لفلورنس نايتنجيل ، .

كان هذا الصديق يعلم أن فلورنس تعرف
الكثير عن شئون المستشفيات وطرق رعاية المرضى .
فأرسل اليها خطابا مفصلا يعرض فيه أفكاره ، وقال
فيه :

« ان المستشفى الميدانى فى « سكوتارى » فى
حاجة شديدة الى ممرضات . . لأن الجرحى هناك يعانون
كثيرا من عدم الرعاية . . وانى أعرف أن هناك عددا
لا بأس به من السيدات والآنسات يرغبن فى التطوع
كممرضات ، ولكنهن لا يعلمن أى شئ عن التمريض
وليس لديهن أية فكرة عن المستشفيات ، أو عن
الواجبات المطلوبة منهن . . وانى أعرف أن هناك

شخصاً واحداً فى انجلترا كلها يستطيع أن يقوم بحل
المشكلة .. هو أنت .. أنت وحدك تستطيعين أن
تختارى هؤلاء المرضيات وتوجهيهن الوجهة السليمة
لأداء عملهن على خير وجه .. وأنا أعرف أنها مهمة
صعبة ، فما رأيك .. هل تقبلين القيام بهذا
الواجب .. وانى على يقين بأنك ستقررين الأمر
بحكمة .. وأدعو الله أن يكون جوابك بالموافقة ! ، .

٧ - تلبية النداء

كانت هذه الرسالة بمثابة الفرصة السانحة التي
هيأها السماء لفلورنس نايتنجيل لكي تحقق أهدافها
ولكي تثبت مدى الأهمية الكبرى لوجود الممرضات . .
وكانت عيون الشعب الانجليزى منجبهة كلها الى
حيث يوجد الجيش البريطانى فى « سكوتارى » .
ومعنى ذلك أنه اذا فشلت النساء فى العمل كممرضات
لرعاية المرضى والجرحى فى مثل هذه الظروف الصعبة
فلن تقوم لفكرة فلورنس فى تطوير عمل الممرضات فى
المستشفيات أية قائمة .

وهكذا كان لزاما عليها أن تقبل هذه الدعوة ،
وأن تفعل كل ما فى وسعها لضمان نجاحها • ولكن
المشكلة الحقيقية تكمن فى كيفية اختيار المرضعات
المطلوبات • • فأين تجدهن يا ترى • • ؟!

ولم يكن هذا بالعمل الهين ، خصوصا وأن الوقت
كان ضيقا • وعلى أية حال ، فقد جمعت فلورنس ثمان
وثلاثين سيدة بعد أن استبعدت الشابات الصغيرات •
وكان بعضهن على دراية بسيطة بأصول العمل •
وجميعهن قد تقدمن لهذا العمل ليحصلن على أجر أعلى
من أجورهن فى انجلترا •

وبسرعة فائقة ، أعدت لهن ثيابا خاصة موحدة
الشكل ورمادية اللون وخالية من الجمال أو الشياكة •
وكانت هذه أول فرقة من ممرضات الأنسة نايتنجيل •

٨ - فى تركيا

وكانت أيام الاعداد لتكوين هذه الفرقة من المرضات حافلة بالعمل . وعندما علمت أمها مسز نايتنجيل واختها بارثى بأن الحكومة قد اختارت فلورنس لهذه المهمة الصعبة ، أسرعت الأم والأخت الى لندن لمساعدتها فى اعداد الفرقة .

وهكذا رحلت فرقة المرضات الى فرنسا عبر بحر المانش ، ثم أخذت القطار الى جنوب فرنسا . ومن هناك ركن سفينه متجهه الى استانبول . وكانت رحلة بحرية عاصفة ، فقضت فلورنس معظم الوقت

راقدة فى الفراش تعاني من دوار البحر •

وأخيرا وصلن الى استانبول فى الثالث من نوفمبر
سنة ١٨٥٤ ، ونزلن الى الشاطيء • وهبت عليهن
رياح باردة ، وتجمعت حولهن كلاب جائعة ، وشاهدن
جثة حصان طافية فوق سطح الماء ، ومجموعة من الجرحى
واقفين فى يأس • وتسلفت الفرقة منحدرًا صغيرًا •
وشاهدن المستشفى الميدانى لأول مرة •

٩ - المستشفى فى أسوأ حالة

كان المبنى من الخارج يبدو ضخما وذا منظر خادع . فقد كان فى الأصل معسكرا للجنود الأتراك وحولوه الى مستشفى نظرا لظروف الحرب .

أما داخل المبنى فقد كان الأمر سيئا الى أقصى حد . . . فهناك فناء واسع جدا تحف به من جميع الجوانب حجرات وقاعات لا حصر لها ، كلها ذات أرضيات محطمة وحوائط تنضح منها الرطوبة .

وكان أحد أجزاء هذا المبنى الضخم قد تعرض لحريق كبير ، فهجر لمدة طويلة وأوقف استعماله .



المستشفى في سكوتلاند

والجزء الثانى كان عبارة عن معسكر للجنود ، والجزء الثالث كان اصسطيلا للخيول ومحلا لشرب القهوة والنبينه . والأسوأ من ذلك كله عدم وجود مياه صالحة للشرب ، كما أن أنابيب مجارى الصرف الصحى كانت معطلة تماما وغير صالحة .

وكان عدد الجنود الجرحى الذين يموتون بسبب الأمراض التى أصيبوا بها فى هذا المستشفى ، أكثر من عدد الجنود الذين كانوا يموتون بسبب ما أصيبوا به من جروح فى المعارك الحربية .

وكان الجنود الجرحى متناثرين فى كل أنحاء المبنى ، ولا يشرف عليهم أحد على الاطلاق . وقد أقبل فصل الشتاء والمستشفى خال تماما من أى مؤن أو معدات أو مستلزمات . ولا توجد به حتى الشوك والسكاكين والملاعق الخاصة بتناول الطعام .

وكانت قواعد الخدمة بالجيش تقضى بأن الجندى المحال الى المستشفى ، لا بد أن يصحب معه أمتعته وملابسه وأدواته وعهدته التى استلمها من الجيش . .

ولكن كيف يمكن أن يصطحب جندى جريح كل هذه الأشياء ؟ ٠٠ وكيف كان يمكن المحافظة على كل هذه الأشياء أثناء استعمار المعارك الحربية بكل ما فيها من اضطراب ٠٠ ؟!

ولكن هذه كانت الأوامر ٠٠ وهى أوامر غبية متعسفة وظالمة ٠ فالجنود الجرحى وغير الجرحى كانوا يفقدون عهدهم فى أغلب الأحوال ٠٠ وحين كانوا يتوجهون الى مخازن الجيش ليطلبوا أدوات جديدة بدلا من الأدوات التى فقدوها ، كانوا يتلقون اجابة واحدة جاهزة : نأسف أيها الزميل العزيز ٠٠ كان يجب أن تحافظ على عهدتك !

١٠ - استقبال بدون ترحيب

خصصت للآنسة نايتنجيل وممرضاتها الثمانية والثلاثين ثلاث حجرات ضيقة ، كان يشغلها من قبل ثلاثة من الأطباء ٠٠ كانت حجرات قذرة ليس فيها سوى القنثران والحشرات وثلاثة من المقاعد وجثة ضابط روسي قتيل .

لم يرحب الأطباء اطلاقا بوصول هؤلاء الممرضات ، وكانوا يقولون دائما : من أحضر هؤلاء الممرضات ؟! وماذا يمكن أن تفعل مجموعة من النساء وسط الجنود الجرحى ؟!

وتجاهل الأطباء وصول الممرضات ، وقرروا عدم التعامل معهن . وصممت فلورنس نايتينجيل من جانبها على عدم بدء العمل الا بعد قبول الأطباء لوجودهن من ناحية المبدأ . كانت مقتنعة تماما بأن الممرضات لا بد أن يعمن تحت اشراف الأطباء . . ذلك لأن الواجب الأول على كل ممرضة أن تقوم بتنفيذ أوامر الطبيب . وهكذا ظلت فلورنس وممرضاتها منتظرات أى استدعاء لهن من جانب الأطباء . . ولكن دون جدوى . . وممراسبع لم يفعلن فيه شيئا سوى اعداد الأربطة وتجهيزها لتضميد الجروح . . بينما كان الجنود الجرحى لا يتلقون أى علاج .

وكانت حالة المطابخ فى المستشفى فى منتهى السوء . كان الطباخون يلقون بقطع كبيرة من اللحم فى قدور ضخمة يوقدون تحتها النار . وعندما يظنون أن اللحم قد نضج - سواء أكان قد نضج بالفعل أو لم ينضج بعد - كانوا يأمرؤن مساعديهم باطفاء النار بجرادل مملوءة بالماء . ثم يقومون بتوزيع هذا اللحم على الجنود الجرحى والمرضى كيفما اتفق ، فبعضهم كان

يحصل على قطعة ناضجة ، وآخرون يحصلون على قطع
مازالت نيئة ، وكثيرون كانوا يحصلون على قطع من
العظم الخالص . أما أغلبية الجنود فكانوا لا يحصلون
على شيء !

وبطبيعة الحال كان من النادر وجود الحضراوات .
أما الشاي ، فقد كان أمره مروعا . كانوا يغفلونه في
نفس القدور والأوعية الضخمة التي يسلقون فيها
اللحم دون أن يغسلونها تماما علق بها من دهون وبقايا
الشوربة ، ولذلك فقد كان مذاقه يثير الغثيان ، ولا
يمكن أن يشربه أحد أو يستسيغه أحد .

وأخيرا سمحوا لفلورنس نايتنجيل وفرقة
المرضعات أن يدخلن الى المطابخ ليشرفن على اعداد
الطعام والتأكد من طهيهِ به 'ريقة مناسبة' . وكان هذا
أول عمل قمن به في هذه المستشفى !

١١ - بداية العمل

وفجأة حدث تغيير كبير . فقد ساءت الأمور في القرم حيث تدور المعارك . وسقط المطر مدرارا فحول الأرض الى بحيرات من طين . ونقصت مقادير الطعام التى كانت تصل الى الجنود المحاربين فى الميدان ، كما أصبحوا جميعا بلا مأوى يقيهم من برد الشتاء القارس وبدأت أفواج من الجنود المرضى يصلون الى المستشفى قادمين من القرم عبر البحر الأسود

وازدادت الأمور سوءا حين هبت رياح كالاعصار المدمر ، فتهدمت البيوت والمباني ، وسقطت الأشجار

الضخمة واقتلعت من جذورها ، وطارت الخيام فى الهواء ، وغرقت سفن كثيرة ، وفستت كميات هائلة من الامدادات والتموين . وأصبح الجنود المساكن نصف مدفونين فى الطين والماء البارد ، بلا طعام وبلا غطاء .

ويوما وراء يوم ، تدفقت الى المستشفى جماعات غفيرة من المرضى والجرحى يعدون بالمئات . فامسلأت بهم كل حجرات المستشفى وكل قاعاتها . وتمددوا فى صفوف طويلة متراسة على الأرض . وأصبحت المستشفى فى حالة يرثى لها .

أما الأطباء ، خصوصا الكبار منهم ، فكانوا يعملون كالأسود ، بل وكانوا يظلمون واقفين على أرجلهم لاربعة وعشرين ساعة متوالية ، محاولين فحص أكبر عدد ممكن من الجرحى والمرضى ، ولكن بلا جدوى . فهناك نقص شديد فى الأغذية ومفارش الأسرة ، ونقص شديد فى الأدوية والأدوات الطبية ، ونقص شديد فى تجهيزات المستشفى ومستلزماتها .

وكان آلاف من المرضى والجرحى يرقدون على الأرض فى انتظار الموت أو أى مصير تعس آخر .

وعندهما يئس أطباء المستشفى تماما وأصبحوا عاجزين عن ملاحقة هذه الحالة المتدهورة ، قرروا أخيرا الاستعانة بالآنسة نايتنجيل وفرقة ممرضاتها .

وما أن شرعت فرقة الممرضات في العمل ، حتى حلت روح جديدة وبدأت الأمور تتحسن رويدا رويدا . وفهم الأطباء أخيرا أن هناك شخصا واحدا في « سكوتاري » كلها يستطيع أن ينقذ الموقف بما معه من نقود وأموال ، وبما في شخصيته من قوة وقدرة على وضع الأمور في نصابها السليم . . هذا الشخص هو الآنسة فلورنس نايتنجيل !

لقد وصلها مبلغ كبير من المال من لندن ، فاستخدمته على خير وجه . كانت الأرض في منتهى القذارة فاشتريت مائتي فرشاة لمسح الأرض والبلاط . . وكانت ملابس الجنود لم تغسل منذ أسابيع طويلة فاستأجرت بيتا واستأجرت مجموعة كبيرة من النساء الأتراك ليغسلن ملابس الجنود . . كما اشترت من أسواق استانبول جميع المستلزمات الاخرى مثل الملاعق والشوك والسكاكين والمقصات وأمشاط الشعر

والصابون والمناديل والقمصان والأطباق وأواني
الطعام .

وفى بداية شهر ديسمبر ، وصلت أخبار بأن نحو
ستمائة جندي جريح ومريض فى طريقهم الآن الى
المستشفى ، قادمين عبر البحر الأسود . ولكن المستشفى
كان مملوفاً عن آخره ، ولا يمكن أن يتسع لأى واحد
جديد . فما العمل ؟!

لم يكن هناك الا القسم المهجور الذى كان قد
تعرض فيما قبل الى الحريق . فلو تم اصلاح هذا
القسم وترميمه لأصبح فى الامكان توفير مكان لايواء
نحو ألف مريض وجريح . ولكن هذا الترميم يحتاج الى
مال وعمال ، ويحتاج الى أمر من شخص مسئول لبدء
العمل . ولم يكن هناك الا فلورنس نايتنجيل ، فهى
وحدها القادرة على هذا الانجاز .

١٢ - الاشراف على تطبيق النظام

أخذت كل شىء على عاتقها ، فاستأجرت نحو مائتين من العمال قاموا بانجاز العمل فى أقل وقت . وعندما وصل المرضى والجرحى ، فلم يكونوا ستمائة فقط وانما كانوا ثمانمائة أو أكثر . ولكن كل واحد منهم كان له سرير خاص يرقد عليه .

وقد وصف أحد المرضى مشاعره بعدما غادر المركب القذر الذى نقله من الميدان الى « سكوتارى » واستقبلته الأنسة نايتنجيل وفرقة الممرضات وقدنه الى سرير نظيف وقدمن اليه طعاما ساخنا : « لقد احسنا بأننا انتقلنا الى النعيم ! » .

ولم تكن العلاقات بين فلورنس نايتنجيل وممرضاتها علاقات طيبة في كل الأحوال . فهي تؤمن بضرورة الطاعة والالتزام بالنظام ، لأنها تريد أن تثبت للعالم أهمية عمل المرأة كممرضة . وهي تعلم أن وجود بضع نساء بين آلاف من الرجال هو أمر يحتمل معه حدوث بعض المشاكل ، ولهذا فقد كان لا بد من تطبيق نظام صارم ، ولا بد أيضا من طاعة كل أوامرهما وكل نواهيها .

وكانت بعض الممرضات يشكين من قبح شكل غطاء الرأس الذي أجبرن على لبسه . وبعضهن كن يشكين من منعهن من الدخول الى غرف المرضى بعد الساعة الثامنة مساء . وآخريات كن يشكين من منعهن اعطاء المرضى ما يناسبهم من الطعام الا بعد الرجوع الى أمر الطبيب وموافقته . كما أن كثيرات منهن كن يكرهن الآنسة نايتنجيل لأنها كانت صارمة جدا ومن الصعب ارضائها .

وكان من اللازم مرور بعض الوقت حتى تعتاد الممرضات على تنفيذ كل هذه الأوامر والالتزام بالنظام

الصارم الذى وضعته فلورنس نايتنجيل ،
وفى خلال تلك الفترة عاشت حياة صعبة حافلة
بالعمل . ولم تكن صحتها على ما يرام فى جميع الأحوال ،
بسبب كل تلك الظروف السيئة فى « سكوتارى » .
وعندما تمطر السماء ، كانت قطرات المطر تتساقط فى
حجرتها من خلال شقوق السقف . كما أن الطعام كان
لا يناسبها .

وكان من النادر أن تغادر مبنى المستشفى حيث
كانت تقضى فيه طول الوقت ليل نهار . وعندما كانت
تصل أفواج جديدة من المرضى والجرحى ، كانت تظل
واقفة على قدميها لأربع وعشرين ساعة متوالية . وكانت
تستقبلهم بكثير من الود واللفظ والعطف .

وكانت محل إعجاب وتقدير من جميع الجنود .
لقد استطاعت أن تجعلهم يكفون عن السب ونطق
الألفاظ القبيحة فى أحاديثهم . وجعلت بعضهم يكف عن
شرب الخمر ، كما عاونتهم وشجعتهن على الكتابة إلى أهليهن
فى الوطن . بل وكانت تشجعهم على تحمل الألم حين
كان الأطباء يجرون لهم العمليات الجراحية .

وكانت عيون المرضى والجرحى تتتبعها وهي تمر
ليلا بين الحجرات لتطمئن على من فيها ، وهي تحمل في
يدها المصباح الذي اشتهرت به . وكتب أحد الجنود :
« كنا نجد راحة شديدة عندما كانت تمر على حجراتنا .
قد نتحدث مع أجداثا ولكنها كانت تبتسم لنا جميعا »

١٣ - زيارة للقرم

وبعد حلول فصل الربيع ، وبعد أن تحسنت الأوضاع فى المستشفى . ذهبت فلورنس نايتنجيل الى منطقة قريبة من ميدان الحسرب فى القرم ، وهى منطقة « بلاكافا » وذلك لزيارة المستشفى الميدانى هناك .

وبعد فترة قصيرة من وصولها الى « بلاكافا » سقطت مريضة بحمى خطيرة . فظلت راقدة لمدة اسبوعين بين الحياة والموت . وحزن الجنود المرضى والجرحى الراقدون بمستشفى « بلاكافا » حزنا شديدا . أما الجنود المرضى والجرحى الراقدون فى مستشفى

« سكوتارى » فقد أداروا وجوههم نحو الحائط وأخذوا
يبيكون ويدعون لها بالشفاء . وعندما وصلت أنباء
مرضها الى انجلترا استقبلها الشعب بأسف شديد . .
ولكن بعد وصول أنباء قرب تماثلها للشفاء كان الناس
يهنئون بعضهم بتلك الانباء السعيدة .

وعندما استطاعت أن تستعيد قدرتها على الحركة
عادت مرة أخرى الى مقرها بمستشفى « سكوتارى » .

ويمكن تقسيم تلك الفترة من حياة فلورنس
نايتنجيل الى فترتين زمنيتين . الفترة الأولى تشمل
الشتاء الرهيب عام ١٨٥٤ - ١٨٥٥ عندما استطاعت
أن تجعل من مستشفى « سكوتارى » مكانا لائقا بالمرضى
والجرحى تسوده النظافة وحسن النظام . أما الفترة
الثانية فتبدأ فى ربيع ١٨٥٥ حتى موعد عودتها الى
انجلترا فى ١٨٥٦ . وكانت فترة حافلة بكثير من
المشاكل والصعوبات . .

١٤ - الأوقات العصيبة

ظهر لفلورنس نايتنجيل أعداء في كل من المستشفى والجيش . . ذلك لأن الأنباء التي كانت قد وصلت الى انجلترا عن سوء حالة الجنود وندهور حالة المستشفيات الميدانية ، قد أثارت الكثير من مشاعر الغضب العام ، كما أثارت بمصافة عاتية من الشكاوى . الأمر الذي أدى الى غضب كبار الأطباء وكبار الضباط في « سكوتاري » فأخذوا يوجهون اللوم الى فلورنس نايتنجيل ، ويكتبون التقارير ضدها وضد طريقة عملها، وأخذوا يعملون على ترحيلها .

وقاومت فلورنس كل هذه المحاولات بعزم وصلابة

رجال عظام .. ونساء عظيمات ٩٧

شديدة . بل وأضافت الى أهدافها أهدافا أخرى تتعلق بتحسين أوضاع الجنود العاديين . فقد كان الضباط فى بعض الأحيان يعاملون جنودهم كما لو كانوا حيوانات .

وقد لمست فلورنس بنفسها جميع الاحوال السيئة التى كان يعانى منها الجنود ، والتى كانت تؤدى الى جعلهم يسلكون سلوكا غير طيب ولا حميد . وقد أرسلت فلورنس الى أختها « بارثى » رسالة توضح وجهة نظرها فى هذا الشأن ، قالت فيها : لا بد أن نمنحهم فرصة . . لا بد أن نقيم لهم المدارس ليتعلموا . . ولا بد أن نتيح لهم الاستماع الى الخطب والدروس الطبية . . وأن نوفر الكتب لمن يستطيع منهم أن يقرأ . . ولا بد أن تقدم لهم برامج التسلية والترفيه البرى . . وعندئذ سيتوقفون من تلقاء أنفسهم عن شرب الخمر . . وسيصبحون أكثر طاعة واخلاصا فى كل أعمالهم ، وفى كل ما يطلب منهم تنفيذه من أوامر أيا كانت ! » .

١٥ - مساعدة الجنود

لقد آمنت فلورنس نايتنجيل بضرورة مساعدة جنود الجيش ، ليس فقط عندما يكونون مرضى أو جرحى ، بل وحين يكونون أصحاء أيضا . . . وكانت تؤمن بأن خدمة هؤلاء الجنود خارج المستشفى لا تقل أهمية عن خدمتهم داخل المستشفى .

وبالرغم من معارضة بعض الضباط ، افتتحت فلورنس ركنا للقراءة والاطلاع وخصصته للجنود الذين يستطيعون الحركة أثناء علاجهم بالمستشفى . وعندما أرادت استخدام أحد المدرسين ليقوم بتعليم الأميين من

الجنود مبادئ القراءة والكتابة ، رفض الضباط ذلك بشدة ، وقالوا لها : « انك تفسدينهم يا آنسة ! » .

وقد لاحظت فلورنس أن الجنود ينفقون مرتباتهم القليلة على شرب الخمر ، لأنهم لا يستطيعون تحويل نقودهم الى عائلاتهم في انجلترا . لذلك فقد خصصت يوما معيناً في كل اسبوع ، تتلقى فيه الأموال التي يريد الجنود تحويلها الى أسرهم ، ثم تقوم بعد ذلك باجراءات تحويل هذه النقود الى انجلترا لتسليمها الى أسر وعائلات الجنود في جميع أنحاء انجلترا .

ثم افتتحت بعد ذلك قاعة كبيرة للقراءة والمطالعة زودتها بالأناث وبالمناضد والمقاعد ، وزينتها بالحرائط والصور واللوحات . واشترت من أموالها الشخصية مجموعة كبيرة من الأدوات الكتابية كالورق والأقلام والأحبار ، ومجموعة كبيرة من الجرائد والمجلات .

وفي قاعة القراءة تلك كان الجنود يتجمعون أيضا لسماع الخطب والاحاديث المسلية . كما كون بعضهم فرقة للانشاد والغناء . وكون آخرون فريقا صغيرا

للمتمشىل • وفريقا لكرة القدم اشترك فيه بعض الجنود الذين يمرون بفترة النقاهة • كما جهزت وأعدت بعض الألعاب الهادئة التى لا تحتاج الى مجهود للجنود المرضى أو الجرحى الذين لا يستطيعون الحركة بسهولة •

وبفضل كل هذه الجهود التى بذلنها فلورنس نايتنجيل ، تحسنت صورة الجندى أمام نفسه وأمام زملائه وأمام ضباطه وأمام المجتمع ككل ، واختفت تماما وبغير رجعة صورة الجندى السكير العريبد المستهتر •

وفى ابريل ١٨٥٦ انتهت الحرب بين انجلترا وروسيا ، وبالتالى فقه قل العمل فى مستشفى « سكوتارى » • وما أن حل شهر يوليو ، حتى رحل آخر جندى من المستشفى عائدا الى انجلترا • وهكذا انتهى تماما عمل فلورنس نايتنجيل فى حرب القرم ، واستعدت هى الأخرى للعودة الى بيتها •

١٦ - العودة الى البيت

كانت انجلترا كلها ترغب فى تكريمها • فالنقارير
التي كتبت ضدها كانت لا تساوى شيئا أمام العرفان
بالجميل من عشرات الآلاف من الجنود وعائلاتهم في
انجلترا • ولذلك فقد قام البعض بأعداد خطة
لاستقبالها استقبالا لائقا ، يخرجون فيه لتحيتها في
أحتفال تعزف فيه الموسيقى وتلقى فيه الخطب لتمجيدها
وتمجيد مشاعرها النبيلة • بل وأرادت الحكومة أن
تتيح لها العودة على ظهر إحدى السفن الحربية •

ولكن فلورنس نايتنجيل لم تكن راغبة في كل

ذلك . وركبت سفينة عادية دون أن تعلن عن شخصيتها الحقيقية ، وأطلقت على نفسها اسم « الآنسة سميث » . وأوصلتها هذه السفينة الى جنوب فرنسا . ومن هناك ركبنا القطار الى شمال فرنسا . ثم عبرت المانش على سفينة عادية أوصلتها الى لندن .

وكان أبوها وأمها وأختها جالسين فى قاعات البيت حين وصلت . وكانت خادمة البيت العجوز أول من رأتها . فقد كانت الخادمة عندئذ جالسة فى حجرتها حين رأت سيدة ترتدى ملابس سوداء ، تتجه نحو بوابة البيت . وعندما تحققت الخادمة من شخصية هذه السيدة ، أطلقت صرخة فرح عالية ، وانهمرت من عينيها الدموع ، واندفعت نحوها لترحب بها . . .

لقد عادت فلورنس نايتنجيل أخيرا الى بيتها .

١٧ - بعد الحرب

عندما عادت الى البيت ، كانت ، تعبـة مرهقة منهوكة
القوى ومريضة . ومع ذلك فقد كانت تفكر فى الأعمال
الكثيرة التى قررت القيام بـ . وأهمها وضع الخطط
لتحسين أحوال الجنود العائين فى الجيش بعد أن رأـت
بعينها ما يعانونه من سوء المعاملة وقلة الخدمات المقدمة
لهم .

وكان عليها أن تقنع السلطات فى انجلترا بكل
أهدافها ، ولكن بعد أن تكسب احترام هذه السلطات
لكى تقف الى جانبها فى تحقيق تلك الأهداف . لانها

كانت بظن - وهو ظن كان صحيحا الى حد بعيد - أن رجال السلطة لا يؤمنون بما تؤمن به من أهداف نبيلة لخدمة المجتمع ، ويشكون تماما في قدرتها على القيام بأعمال مفيدة . وذلك على العكس تماما من احساس الجنود المرضى والجرحى الذين عرفوها جيدا ، والذين كادوا يعتبرونها مثل بطلات الأساطير وقصص البطولات الخارقة !

والغريب أن فلورنس نايتنجيل قد انزوت في بيتها بعد عودتها الى انجلترا . فلم تظهر أبدا أمام الجمهور ، ولم تكتب مقالات أو تلقى أية محاضرات عامة . ولم تنضم الى أى حزب من الأحزاب . كانت نريد أن ينساها الناس ، وكادت أن تنجح في ذلك .

ففي خلال السنة التالية لم يسمع الناس عنها أى خبر . بل وظن الكثيرون أنها قد ماتت . وحتى الذين عرفوها عن قرب ، أصبحوا لا يذكرون الا ما كانت تقوم به من أعمال وخدمات في مستشفى « سكوتارى » أثناء حرب القرم .

لقد قضت فلورنس نايتنجيل نحو عامين في
« سكوتارى » وعندما عادت الى انجلترا كانت في
السادسة والثلاثين . . وما زالت أمامها سنوات طويلة من
العمل في ميادين أخرى . .

١٨ - أهداف حياتها

مرت عليها سنوات طويلة وهى مريضة تلازم فراشها ٠٠ وسنوات طويلة أخرى كانت تعمل فيها ليل نهار : تزور المستشفيات ، وتضع الخطط لمساعدة المرضى والفقراء من الناس . وتقابل المسئولين فى الحكومة لتقدم اليهم التقارير التى كتبتها والحلول التى تراها لاصلاح الأحوال .

وكان أهم هدفين من أهداف حياتها ، هما تحسين أحوال الجنود العاديين بالجيش ، وتحسين أجور وأوضاع المرضات ، وأن تجعل من التمريض مهنة جديرة

بالاحترام . وقد نجحت فى تحقيق هذين الهدفين الى حد كبير ، ليس فى انجلترا وحدها ، وانما فى بهيئة أنحاء العالم المتمددين .

وبفضلها أصبحت مهنة التمريض على ما هى عليه الآن . وانشئ معهد نايتنجيل لتدريب الممرضات قرب أكبر مستشفيات انجلترا . وقد تخرجت من هذا المعهد آلاف عديدة من الشابات ، كان لهن أكبر الأثر فى تطوير مهنة التمريض ومستوى الخدمات الطبية فى مستشفيات انجلترا . واعتبرن نموذجا يحتذى فى مستشفيات بقية أنحاء العالم .

وقامت فلورنس نايتنجيل بتأليف كتاب صغير عن تدريب الممرضات ، مازال بعضه صالحا حتى اليوم . وبطبيعة الحال فإن كثيرا من الوسائل الجديدة قد طرأت الآن على نظم التمريض الحديثة . ولكن على

يامها كان كتابها يعتبر طفرة كبيرة فى التطور من حال
الى حال أحسن وأفضل . ولذلك فقد طبع منه فى انجلترا
آلاف من النسخ وزعت على المصانع والورش والمناجم
والقرى والمدارس . كما ترجم الى عديد من اللغات
الأوربية .

١٩ - فى أواخر أيامها

ظلت فلورنس نايتنجيل تعمل لسنوات طويلة •
وكرمها الملوك والملكات وكبار رجال الحكومة • وكان
الأطباء والجهات الحكومية يلجأون إليها ليحصلوا منها
على المعلومات والارشادات الخاصة بتشغيل المستشفيات
وما تحتاجه من ممرضات •

أما الممرضات أنفسهن ، والفقراء من الناس الذين
وهبت حياتها لخدمتهم فقد كانوا أسبق الجميع فى
الاعتراف بأفضالها وجمالها •

وبمرور السنين •• قلت قدرتها على العمل ••

وماتت فی هدوء فی بیتها • وكان عمرها ساعتان
تسعين سنة !

وعلى قبرها نصب حجري صغير ، كتب عليه :

« ف • ن »

(ولدت ١٨٢٠ • ماتت ١٩١٠)

أبراهام لينكولن

فى أحد الأيام المبكرة الأولى من الحياة فى
أمريكا .. كان هناك رجل يعمل فى حقل مجاور
للكوخ الذى شيده من جذوع الأشجار .. وكان لهذا
الرجل ثلاثة من الأبناء .

وفجأة .. ظهر الخطر !

نعم كان هناك الكثير من الأخطار فى تلك
الأيام .. فالمنطقة كانت محاطة بغابات كثيفة .. وفى
تلك الغابات كان يعيش الهنود الحمر .. بعضهم
أصدقاء ، وأكثرهم أعداء ..



١ - الهنود الحمر

انطلقت رصاصة ٠٠ وسقط الأب ميتا

وصاح أحد الأبناء :

- الهنود ٠٠ الهنود الحمر !

واندفع يجرى بأقصى سرعة لاستدعاء المساعدة
من أقرب حامية ٠٠ أما الابن الثاني ، فقد اندفع بدوره
الى داخل الكرخ لاحتضار البندقية . ولكنه ما أن استدار
ليواجه المهاجمين ، حتى رأى أحد الهنود الحمر ينقض
على أخيه الصغير الذى لا يتجاوز عمره ست سنوات

وحمله بين ذراعيه وشرع في الهروب به الى داخل الغابة .

وبسرعة صوب الابن الثانى بندقيته تجاه الهندي وأطلق النار . . فسقط الهندي على الأرض وانفلت الغلام الصغير هارباً تجاه الكوخ . وانضم الى أخيه فى مقاومة الهجوم حتى وصلت المساعدة من الحامية القريبة .

أما الصبى الصغير . . فقد كان اسمه «توماش» . وهو الذى أصبح فيما بعد أباً لابراهيم لينكولن . .

٢ - الحياة الأمريكية فى الماضى

وببدأ قصتنا هذه فى ولاية « كنتكى » بعد سنوات قليلة من بداية اتحاد الولايات الأمريكية مع بعضها لتكوين دولة جديدة هى الولايات المتحدة الأمريكية .

وكان المهاجرون الوافدون من أوروبا يسبقون فى البداية فى الجانب الشرقى لأمريكا المطل على المحيط الأطلنطى . أما الشجعان منهم فقد كانوا يتجهون صوب الغرب . حيث الحيوانات المفترسة والهنود الحمر والجبال والوديان الخصيبة والغابات الكثيفة والسهول الواسعة .

وكانت بعض جماعات الهنود الحمر نرحب بهؤلاء الوافدين الأوروبيين ، ويقدمون لهم العون والمساعدة ، بينما كانت هناك جماعات أخرى من الهنود الحمر تهاجم هؤلاء الوافدين لمنعهم من الإقامة في تلك الأراضي .

ولكن أغلب هؤلاء الوافدين الشجعان تمسكوا بالأرض . . وكانوا يشيدون بيوتهم وأكواخهم من جذوع الأشجار ، ويبدأون في زراعة الأرض بمختلف أنواع المحاصيل .

وبمرور الوقت تدفق وافدون جدد ، وتعاون الجميع في إنشاء الطرق ثم إنشاء القرى والمدن الصغيرة . . وكلما وفد مهاجرون جدد كلما اتسع نطاق التقدم نحو الغرب بحثا عن الأراضي الجديدة الصالحة للزراعة . . وهكذا رويدا رويدا عمرت البلاد حتى شواطئ المحيط الهادى فى أقصى غرب أمريكا .

ولم يذهب توماس لينكولن الى مدرسة . . والى أن تزوج ، كان لا يعرف القراءة ولا الكتابة . . ولكن زوجته التى كانت على معرفة قليلة بمبادئ القراءة

والكتابة استطاعت أن تعلمه كيف يكتب اسمه .
وكان الزوجان يعيشان في كوخ بسيط مشيد
بجذوع الأشجار ، في قرية صغيرة بولاية كينكي .
وفي هذا الكوخ ولد لهما طفلان ، الأول كان بنتا
سمياها « ساره » أما الثاني فكان ولدا سميا
« أبراهام » .

٣ - البيت والمدرسة

وكان الطفل أبراهام لا يجد شيئاً يعملهُ سوى اللعب مع أخته سارة ، جوار الكوخ أو فى الحقل أو عند أطراف الغابة . وكان هذا الكوخ يتكون من غرفة واحدة تعيش فيها الأسرة كلها . ولم يكن هناك سوى باب واحد ونافذة واحدة .

وعندما وصل أبراهام الى سن السابعة . . كان عليه أن يسير على قدميه نحو أربعة أميال (٦٤٣٧ متراً) كل يوم ليذهب الى أقرب مدرسة للبيت . كانت مدرسة مشيدة هى الأخرى بجذوع

الأشجار .. وتتكون من غرفة واحدة لها باب واحد وبدون نوافذ وأرضيتها مغطاة بالقذارة .. وكانت تضج بأصوات الأولاد والبنات الذين يحفظون دروسهم قبل أن يسمعوها للمدرس .. وكانت أصوات كل هؤلاء الأطفال تختلط مع بعضها : أ.ب.ت.ث. .. اثنان واثنان أربعة .. مدرسة .. م.د.ر.س.ة .. مدرسة .. القط الكبير أكل الفأر الصغير ..

وكان توماس لينكولن غير قانع بالحياة فى ولاية كنتكى . فقد كانت الأرض التى يزرعها ذات مساحة محدودة وتربتها فقيرة .. وكان يأمل فى أن يجد أرضا أوسع مساحة وأكثر خصوبة اذا رحل بأسرته نحو الغرب حيث توجد مساحات هائلة تصلح للزراعة .

وعاون أبراهام أباه فى اعداد قارب مسطح صنعاء من جنوع الأشجار . ووضعوا عليه كل ما كانت تملكه الأسرة من الأثاث الذى لا يتعدى بعض المقاعد ومنضدة وبعض المعدات البسيطة الأخرى . وقام الأب بقطر هذا القارب المسطح عبر النهر ، أما الأم والطفلا

فقد امتطوا ظهر حصانين اقترضتهما الاسرة من بعض
الجيران .

وعندما وصلت الاسرة الى ارض جديدة تصلح
للزراعة ، حطت رحالها ، وتعاونوا جميعا فى تجهيز
المقر الجديد . . كانوا لا يملكون حصانا ولا بقرة . .
وكان عليهم أن يسرعوا فورا فى تشييد مأوى يحميهم
من عواصف الشتاء التى أوشكت أن تهب . .

وهكذا بدأوا فى تقطيع الاشجار واستخدام
جذوعها وفروعها فى اقامة جوانب الكوخ وسقفه بعد
تغطيتها بالطين . . الى أن شيدوا فى النهاية كوخوا
بدائيا مفتوحا من أحد جوانبه .

واستقرت الاسرة فى هذا الكوخ . . حتى تسنح
الفرصة لبناء كوخوا أكبر حجما وأحسن تشييدا .

٤ - البيت الجديد

• وبالرغم أن أبراهام لم يكن يتعدى سبع سنوات
عسرا . الا أنه كان يبدو أكبر من سنه ، وأقوى من
أمثاله من الأولاد . . كان يساعد أباه في أصعب
الأعمال ، وفي تقطيع الأشجار وتجهيز جذوعها لبناء
الكوخ الجديد .

وكان يساعد أيضا في اعداد لأرض الجديدة
للزراعة . وفي ظرف سنة استطاع هو وأبوه أن يشيدا
كوخا جيدا لايواء الأسرة . وكان يتكون من حجرة واحدة
ذات سقف وحران أربعة له باب منخفض وبدون
بواقد .

وكانوا يشعلون فرعا من فروع الشجر لتوفير
الاضاءة والدفع . وفى أحد جدران الكوخ كان هناك
بضع درجات مصنوعة هى الأخرى من جذوع الاشجار
على شكل سلم يؤدى الى مكان تحت السقف . وفى
هذا المكان الصغير كان أبراهام ينام على كومة صغيرة
من أوراق الشجر .

أما طعام الأسرة فقد كان أغلبه من لحم الحيوانات
البرية التى يتمكن الأب من اصطيادها . وكانوا
يصنعون ملابسهم من جلود هذه الحيوانات . ونادرا
ما كانوا يلبسون أحذية مصنوعة أيضا من جلود هذه
الحيوانات .

وقد استطاع أبراهام ان يمسك بالبنديقية فى
مرة ، وصوبها نحو طائر كبير فأرداه قتيلا . وعندما
ذهب ليحضر الطائر ، صعب عليه أن يكون هو السبب
فى مقتل هذا الطائر . ومنذ هذا اليوم امتنع أبراهام
عن قتل أى حيوان حتى ولو كان من الحيوانات
المتوحشة .

٥ - المرض والموت

رلسوء الحظ ، تسلل المرض الى هذه الأسرة عند حلول فصل الخريف . وسقطت لأم مريضة منهوكة القوى ..

وهناك مثل ساد بين هؤلاء المستوطنين الأوائل فى أمريكا الذين زحفوا الى الغرب واستوطنوا فى الأراضى الجديدة .. كان المثل يقول : « الجبناء لا يبدأون أبداً والضعفاء يموتون فى الطريق » .

وكان أقرب طبيب الى المكان الذى تعيش فيه الأسرة ، يبعد نحو ثلاثين ميلا (نحو ٤٨٣ كيلو

مترا) . ولكن وطأة المرض كانت شديدة . . وماتت
الأم فى وقت قصير . وكان صوتها ضربة شديدة
قاسية للأب وإبراهيم واخته سارة . . خصوصا وأن
عمر سارة آنئذ كان نحو احدى عشرة سنة . . وبالتالى
فقد كانت لا تستطيع أن تقوم وحدها بكل حاجات
البيت .

وفى العام التالى تغيب مستر لينكولن عن البيت
عدة أيام ، عاد بعدها ومعه أم جديدة . كان الأب
يعرفها منذ مدة طويلة . وكان زوجها قد مات وترك
لها ثلاثة أطفال ، ولدين وبنتا . .

كانت امرأة طيبة . . سرعان ما أصبحت أما
لكل من سارة وأخيها إبراهيم . . وكانت لا تفرق
فى المعاملة بينهما وبين أولادها . . كانت تحب الجميع
وترعاهم بكل طاقاتها . .

٦ - المدرسة والكتب

كبر أبراهام وأصبح فتى يافعا ، قوى الجسم
طويل القامة • وكان يعمل طول الوقت فى مختلف
الاشغال لأن الاسرة كانت فقيرة وفى حاجة دائمة
لمعاونته • فما أن ينتهى من العمل مع أبيه ، حتى
يسرع الى العمل مع بعض الجيران نظير بعض النقود
التي كان يعاون بها الأسرة •

وبالرغم من هذا العمل الشاق المتواصل ، الا أنه
كان منصرفا بعقله وقلبه عن كل هذه الأعمال •• كان
يتطلع دائما الى العلم والمعرفة •

وقد التحق إبراهيم بالمدارس في ثلاث مراحل مختلفة من حياته . المرة الأولى حين كان في السابعة من عمره . . والمرة الثانية حين كان في الرابعة عشرة . . والمرة الثالثة حين بلغ السابعة عشرة . وكان يقضى في المدرسة في كل مرة فترة قصيرة لا تتعدى أشهرا قليلة . . وكان مجموع ما قضاه في فصول تلك المدارس لا يزيد عن اثني عشر شهرا .

ولكنه كان شغوفاً بمعرفة المعلومات عن كل الأشياء . . فكان دائم السؤال . . يفكر كثيرا ويقراء عديدا من الكتب . . وعندما كان يتوصل الى معلومة جديدة ، كان يكتبها عدة مرات حتى يحفظها عن ظهر قلب . . وكان يقضى الأمسيات جالسا جوار النار ليستضيء بنورها انضئيل في مواصلة القراءة والكتابة .

وبطبيعة الحال فلم يكن لديه أوراق تصلح للكتابة لذلك . . كان يكتب على قطعة من الخشب هيا سطحها للكتابة . . وكان يكتب بطرف عود محترق . . وعندما كان يحتل سطح قطعة الخشب بالكتابة ، كان يقشرها

بسكينة ليزيل الكتابة القديمة وليجعلها صالحة لكتابة
جديدة .

واقترض أبراهام من أحد الجيران كتابا بعنوان
« حياة جورج واشنطن » الذى كان أول رئيس للولايات
المتحدة الأمريكية . . . وقد أعجب بالكتاب الى حد كبير ،
لدرجة انه كان يصطحبه معه الى السرير ، ويزج به
بين أحد شقوق الكوخ المشيد من جذوع الأشجار ،
ليواصل قراءته عند ظهور أول ضوء للنهار . ولكن
السماء أمطرت بغزارة فى الليلة التالية ، ، وتخللت
مياه المطر بين صفحات الكتاب فافسدها ولم يعد
الكتاب صالحا للقراءة .

واضطر أبراهام لأن يعمل فى حقل الذرة الخاص
بصاحب الكتاب لمدة ثلاثة أيام حتى يعوضه عن ثمنه
. . . ومع ذلك فلم يتوقف عن اقتراض الكتب من
الجيران . . . ولم يمض وقت طويل حتى استطاع أن
يقرأ جميع الكتب الموجودة لدى جميع الجيران ولو
كانوا على بعد خمسين ميلا من كوخه . . . وكان يقرأ

بنهم شديد ٠٠ وكان لا يشبع من التهام كنوز المعرفة
المخبأة بين أغلفة الكتب ٠٠ وكان يقول دائما : « ان كل
ما أريد معرفته موجود فى الكتب ٠٠ وخير صديق لى
هو من يقرضنى كتابا أقرأه ! » ٠

وبالإضافة الى ذلك فقد كان طيب القلب ،
محبوبا من كل الناس ٠ وكانت زوجة أبيه تقول
دائما : « كان مطيعا وعلى خلق رفيع ٠٠ كان لا يعصى
لى أمرا ٠٠ كان أفضل غلام رأيته فى حياتى ، بل
ولن أرى مثله أبدا بين الفتيان ٠٠ ! » ٠

كما كان يتمتع بقوة خارقة ٠٠ يستطيع أن
يجرى بأقصى سرعة دون أن يحس بالتعب ٠٠ ويستطيع
أن يكسب أية مباراة فى المصارعة بمنتهى السهولة
٠٠ بل وكان يستطيع أن يرفع حملا ثقله ستمائة رطل
(نحو ٢٧٢ كجم) دون أن يستعين بأحد ٠

وحين أصبح فى سن الثامنة عشرة ، كان
يستطيع أن يمسك بيده أثقل الفئوس ، ويفرد ذراعه

بمستوى كتفه دون أن تهتز الفأس ولو هزة بسيطة .

وفى أحد الأيام اضطر لأن يسير على قدميه مسافة قدرها أربعة وثلاثين ميلاً (٧٦٧ر٥٤ كم) ذهاباً وعودة حتى يستمع الى خطبة كان يلقيها أحد الخطباء . . وقد استمتع ابراهام بكل من الخطبة والمشوار . .

٧ - مغادرة البيت

وفى سن الحادية والعشرين ، شعر أبوه بأن المكان الذى تعيش فيه الأسرة قد أصبح مزدحما بالجيران وقرر الأب أن ترحل الاسرة مرة أخرى الى أرض جديدة .

ورحلت الأسرة فعلا الى ولاية اللينوى ، واستمر أبراهام يعيش مع الأسرة لفترة قصيرة حتى عاونها فى اقامة المأوى الجديد . وعندئذ قرر أبراهام أن ينفصل عن الاسرة لبدأ حياته الخاصة . وهكذا حمل فأسه على كتفه وبدأ خطواته الجديدة فى هذه الحياة .

وكان أول الأعمال التي كلف بها عملا شاقا
مضنيا ولكنه مفتح أمامه آفاقا جديدة . . لقد كلف
بالاشتراك في نقل حمولة مركب الى مدينة "نيو أورلينز"
. . وكان عليه أولا أن يشترك في تشييد طوف كبير
على شكل مركب مسطح مصنوع من جذوع الاشجار
المشدودة الى بعضها بالحبال .

وفي النهاية وصل الطوف بحمولته من البضائع
الى تلك المدينة الكبيرة . . ورأى أبراهام "نيو أورلينز"
لأول مرة .

٨ - العبيد فى نيوأورلينز

وفى خلال الشهر الأول من اقامته فى تلك المدينة رأى أبراهام عملية تجارة العبيد فى أسوأ صورها . . . ومن المحتمل أن ما رآه من سوء حالة العبيد قد أثر فى فكره ومشاعره الانسانية تأثيرا شديدا ظل يلزمه طوال حياته .

منذ سنوات طويلة كان التجار . . يجلبون عشرات ومئات الآلاف من زنوج أفريقيا لبيعوا فى العالم الجديد ، ويعملون عبيدا فى حقول القطن فى الولايات الجنوبية . . وفى جرائد المدينة كان أبراهام

لينكولن يقرأ اعلانات مثل :

للبيع : مجموعة من البنات أعمارهن من (١٠) الى (١٨) سنة • وامرأة عمرها (٢٤) سنة وامرأة أخرى عمرها (٢٤) سنة معها ثلاثة أطفال أذكىاء •

للشراء : أريد أن اشترى (٢٤) زنجيا من الرجال والنساء • تتراوح أعمارهم ما بين (١٨) و (٢٥) سنة وعلم استعداد أن أدفع أعلى سعر •

وكان لينكولن يتجول كثيرا فى سوق العبيد بنيو أورلينز • • وكان يستمع الى المفاوضات التى تتم بين البائعين والمشتريين وكأنهم كانوا يتفاوضون فى بيع حصان أو أى حيوان آخر • • وكان لينكولن يشمئز من سماع تلك المفاوضات والمجادلات حول بيع وشراء الانسان • • وقد كتب - فيما بعد - يصف احساسه نحو هذه العملية الشنيعة : « لو كان فى مقدورى أن أوقف كل ذلك ، لأوقفته فوراً وبمنتهى العنف ! » •

وعندما عاد مرة أخرى الى الولايات الشمالية ،
وجد عملا كبائع فى مخزن صغير للحاجيات فى احدى
المدن الصغيرة ٠٠ وهناك عرفه الناس على حقيقته
وكانوا يحترمونه ويقدرونه حق قدره ٠٠ وكان هو
من جانبه على استعداد لمعاونة كل الناس ٠٠ فاذا كانت
هناك امرأة فقيرة تريد بعض الأخشاب للمدفأة ، كان
يقوم بقطع بعض الفروع الجافة من الاشجار ويعطيها
للمرأة ٠٠ واذا غرزت عجلات احدى العربات فى الطين
وأصبحت غير قادرة على الحركة ، كان هو أول المتقدمين
لمعاونة السائق حتى يخرج العربة من مازقها ٠٠ واذا
اخطأ فى مرة وأعطى أحد المشتريين أقل مما يستحقه ،
فانا لاينام الليل قبل أن يصحح خطأه ويعطى للمشتري
حقا ولر سار من أجل ذلك أميالا طويلة .

لقد اشتهر بين جميع الناس فى تلك المدينة
الصغيرة بقوته وأمانته وقلبه الطيب الرحيم وأطلق
عليه الناس اسم « الأمين » .

٩ - العراق

وفى تلك المدينة الصغيرة ، كانت مجموعة من الشبان ذوى الطباع الخشنة ، يرأسهم رجل قوى اسمه « جاك أرمسترونج » . وأعلن هؤلاء الشبان أن رئيسهم يستطيع أن يهزم لينكولن فى المصارعة بسهولة فائقة . ولكن أحد التجار تحدى هؤلاء الشبان وقال ان لينكولن أقوى من أرمسترونج ويستطيع أن ينتصر فى هذه المصارعة . . ولم يمض وقت طويل حتى أصبحت المدينة الصغيرة كلها تتجادل فى هذا الموضوع .

ويقل لينكولن كل ما في وسعه حتى لا يستدرج
الى هذا العراك . ولكنه وافق في النهاية حتى لا يفقد
احترام الناس ويظنوا أنه جبن وخاف .

وفي اليوم المحدد للعراك . توجه كل الناس الى
ميدان المعركة ، وكلهم كانوا شغوفين بمعرفة النتيجة
وآى من الرجلين سيهزم الرجل الآخر . وكان وزن
لينكولن في ذلك الوقت نحو (١٨٠) رطلا (نحو
٨١٦٤٦ كجم) . وكان يتميز بذراعين طويلتين
وقويتين .

ومما أن بدأت المباراة حتى تبين لجماعة
أرمسترونج أن لينكولن لا يقل عن رئيسهم قوة ولا ذكاء
.. لذلك فقد حاولوا التدخل في العراك لصالح
رئيسهم ، فغضب لينكولن أشد الغضب ، فهجم على
غريمه ورفع بذراعيه القويتين في الهواء وأطاح به على
الأرض غير قادر على الحركة . وبعد أن انتهى لينكولن
من أمر أرمسترونج ، دعا كل أفراد الجماعة للعراك
معه ، وقال انه سوف يهزمهم جميعا ..

• وعندئذ تحرك أرمسترونج وقام من رقبته وأمسك بيد لينكولن ورفعها قائلا أن المعركة كانت عادلة وأن لينكولن هو المنتصر •• وأن لينكولن هو أقوى الرجال في تلك المدينة •

وهكذا حلت الصداقة محل العداوة • وأصبح لينكولن ضيفا مكرما في أي بيت من بيوت أفراد تلك الجماعة ورئيسها • وسنرى فيما بعد أن لينكولن قد أنقذ حياة أحد أبناء جاك أرمسترونج •

١٠ - محاربة الهنود الحمر

ولم يمر سوى أقل من عام ، حتى أغلق صاحب المتجر الذى كان يعمل فيه لينكولن حانوته • وأصبح لينكولن بالتالى بلا عمل • • وأصبح يقضى وقته فى القراءة والتحدث مع أحد المدرسين •

ثم انضم بعد ذلك الى جماعة من الرجال أراد حاكم ولاية اللينوى استئجارهم للدفاع ضد هجوم متوقع من جانب الهنود الحمر الذين كانوا يريدون استرداد الأرض التى باعوها من قبل •

وعندما اجتمع هؤلاء الرجال فى ساحة المدينة

الصفيرة ، اختاروا على الفور لينكولن رئيسا لهم . وقد
فوجيء هو بهذا الاختيار واعتبره تشريفاً وتكريماً له .
بل اعتبره أفضل من أى تشريف أو تكريم قدم له . خلال
حياته التالية .

ولحسن الحظ لم يحدث أى هجوم من جانب
الهنود الحمر . وبعد ثلاثة شهور عاد الرجال الى
بيوتهم دون أن يدخلوا مع الهنود الحمر فى أية معركة
بل ولم ير لينكولن من الهنود الحمر سوى هندي واحد
من الهنود المسلمين ، كان بعض الجنود قد اعتقلوه
وقرروا اعدامه لولا أن تدخل لينكولن وأنقذ حياته .

١١ - لينكولن صاحب متجر

ولكن يبدو أن عمل لينكولن كبائع فى متجر كانت تجربة لم تخرج بعد من حياته . . فقد اشترك لينكولن مع شخص يدعى « بيرى » فى شراء متجر لبيع الحاجيات . ولكن لا هو ولا بيرى كانا يملكان كثيرا من النقود ، لذلك فقد اقترضا بعض الأموال حتى يتمكنوا من شراء المتجر .

ولكن هذه التجربة لم تحقق أى نجاح ، وذلك لعدة أسباب منها كثرة وجود المتاجر المماثلة فى تلك المدينة الصغيرة ، ومنها سبب رئيسى يرجع الى لينكولن

نفسه ، فقد كان لا يقبل على عمله كبائع فى هذا
المتجر بالحماس الواجب . . كان منصرفا الى قراءة الكتب
أثناء عمله بالمتجر . بل وحين كان يحضر بعض الزبائن
لشراء ، كانوا يجلبونه جالسا فى ظل شجرة خلف
المتجر ومستغرفا فى القراءة . . وأحيانا كثيرة كان
يقوم بوزن السكر أو الدقيق لأحد الزبائن بيد واحدة ،
أما يده الأخرى فتظل ممسكة بكتاب لا يرفع عينه عن
صفحاته .

١٢ - فى قاع البرميل

وكان عدد الزبائن الذين يترددون على المتجر .
يتناقص كل يوم . لذلك فقد كان لينكولن يجد فرصة
أكبر لمواصلة القراءة دون الاضطرار لقطعها حتى يلبي
طلب أحد هؤلاء الزبائن .

وفى يوم ما جاءه زبون . . كان شخصا مهاجرا
الى الغرب ومعه برميل . قديم يريد أن يبيعه حتى يواصل
طريق هجرته . . وكان لينكولن لا يريد شراء البرميل ،
ولكنه مع ذلك اشتراه من الرجل وأعطاه نصف دولار
ثمنا لهذا البرميل القديم .

وحين أراد لينكولن تنظيف البرميل والقاء ما به
من أوراق قديمة ، دهش كثيرا عندما عثر على كتاب
قديم بقاع البرميل . . وكان كتابا في القانون . . كان
كتابا لا يستغنى عنه المحامون . . وكان يبدو كما لو
كان يقول للينكولن : « هأنذا . . خذنى واقرأنى . .
لقد ولدت لتكون محاميا ! » .

وقرأ لينكولن هذا الكتاب بكل الشغف وكل
التركيز . .

وفى أحده الأيام علم لينكولن أن شريكه بيرى قد
فر هاربا من المدينة الى مكان مجهول حتى يتصل
من الوفاء بما عليه من ديون . . وكان فى وسع لينكولن
أن يفر هو أيضا ، أو يفعل مثلما يفعل الكثيرون من غير
الأمناء .

ولكنه طلب من الدائنين أن يمهلوه الى حين ميسرة
ووعدهم بأنه سيرد اليهم أموالهم مهما اقتضى الأمر . .
وهكذا كلما استطاع لينكولن أن يدخر بعضا من

النقود ، كان يدفعها كلها وفاء لهذا الدين . .

ومن الغريب أنه ظل يدفع أقساط هذا الدين
لسبع عشرة سنة متوالية . . حتى انتهى أخيرا من دفع
جميع ما كان عليه من ديون .

١٣ - لينكولن صانع القانون

وكانت السنوات التالية من حياة لينكولن سنوات صعبة حافلة بالجهد والعمل . . فقد اكتسب محبة الناس واحترامهم . وربما كان نجاحه في الانتخابات واحتلاله مركزا مرموقا في حكومة الولاية يرجع أساسا الى اقتناع الفلاحين والناس البسطاء به وتأيدهم له ، باعتباره شخصا بسيطا مثلهم يمكنه أن يفهم مطالبهم وآمالهم ويستطيع أن يرفع صوتهم الى حكومة الولاية . . لقد أحبه هؤلاء الناس وساعدوه مثلما كان يساعدهم .

• وعندما نجح فى الانتخابات لأول مرة ، ذهب الى أحد أصدقائه من المزارعين وسأله : « هل اخترتني فى الانتخابات ؟ » • فلما أجاب الصديق بإيجاب ، قال له لينكولن : « حسن .. أنا أريد الآن أن اشترى بعض الملابس اللائقة بدلا من ملابسى القديمة .. وأريد أن اقترض مائتى دولار ! » •

ولأنه كان مازال قليل الخبرة بأعمال الحكومة فلم يحاول أن يتقدم أو يتولى المناصب الرئيسية القيادية ، بل عمل فى صمت لخدمة الناس ، واكتسب أيضا محبة واحترام زملائه فى الحكومة •

وكان انتخابه لأول مرة فى سنة ١٨٣٤ يعتبر فاصلا بين مرحلتين من حياته .. فقد كان نهاية للمرحلة الفقيرة القلقة التى عاشها بين فقراء المزارعين الذين يرحلون من مكان الى آخر سعيا وراء الرزق أو ما يسمونهم .. كما كان بداية لمرحلة أخرى من الحياة يحتك فيها بكثير من المتعلمين والمتنورين وأصحاب الأفكار الجيدة •

وخلال السنوات الثماني التي قضاها لينكولن
كعضو منتخب في حكومة الولاية ، كان يدرس القانون
ليل نهار . وبعد انقضاء هذه السنوات رحل الى مدينة
سبرنج فيلد بولاية اللينوى . وهناك التحق بمكتب
محام كبير وبدأ ممارسة مهنة المحاماة . وكان عمره
أيامئذ نحو تسع وعشرين سنة . ولم يكن في جيبه
أكثر من سبعة دولارات ، لا تكفى حتى لتأجير غرفة
مناسبة يعيش فيها . ولكنه مع ذلك بدأ هذه المرحلة
من حياته بروح متفائلة مستبشرة . .

١٤ - لينكولن المحامى

وظل لينكولن يعمل بالمحاماة على مسدى خمس وعشرين سنة متواصلة . . عرف خلالها بانه المحامى الأمين الذى لا يتكلم الا بالحق والذى لا يصنع الا ما يظن أنه الصواب والعدل . . وكان يساعد الناس فى حل مشاكلهم . فعندما يتشاجر شخصان أو يتنازعان على شىء ما ، كان يقنعهما بحل المشاكل بطريقة ودية بدلا من اللجوء الى المحاكم . . وكان اذا شعر بأن أحد زبائنه لم يكن على صواب أو يطالب بشىء غير الحق ، كان يمتنع على الفور عن الدفاع عنه . . وكان لا يحصل

من الزبائن الا على أجر عادل ليس فيه اجحاف
بحقوقهم .

وعندما كان الناس يتحدثون عنه أو يلوكون
سيرته طيلة هذه السنوات ، كانت أقوالهم لا تخرج
عن الأقوال التالية :

١ - يائه من شخص طويل قوى العضلات سريع
الحركة غير انيق فى ملبسه أو فى ملامحه !

٢ - كم هو قادر على ذكر القصص الطريفة التى
تسر السامع . . . وكم هو رحيم وطيب القلب !

٣ - انه يشعر بحزن عميق ويلزم الصمت فى
بعض الأحيان !

٤ - انه يتطلع دائما لاية فرصة يتعلم فيها
شيئا جديدا !

٥ - كم هو مستعد دائما لمعاونة أى صديق وائى
غريب ، بل وائى حيوان أعجم !

وفى تلك الأيام كان قاضى المحكمة يتنقل بمحكمة
من قرية الى قرية ، ومن مدينة صغيرة الى مدينة صغيرة
أخرى . . وكان المحامون - ومن بينهم لينكولن -
يتتبعون هذه المحكمة أينما ذهبت أو تنقلت . . ولذلك
فقد ذاع صيته واتسعت آفاق شهرته . .

١٥ - براءة بدلا من الاعدام

وفى يوم ما ترك لينكولن كل أعماله وسافر
ليواسى أرملة صديقه القديم جاك أرمسترونج بعد
موته بأيام قليلة. وهناك علم أن «داف» ابن أرمسترونج
قد وقع فى مأزق خطير .. حيث وجهت اليه تهمة
القتل ، وهى جريمة عقوبتها الاعدام .

وكانت وقائع تلك التهمة تتلخص فى أن « داف »
ورجلا آخر قد شربا كثيرا من الخمر حتى سكرا ، ثم
بدأ فى الشجار والعراك ، حيث وجه « داف » ضربة

قوية نحو رأس غريمه ، فسقط على الأرض . . .
خمسة أيام مات الرجل .

وبالرغم من أن لينكولن يعرف الكثير عن أسرة
أرمسترونج . . . ويعرف أن الابن داف كان طائشا . .
الا أنه كان مقتنعا بأن داف مهما كان سيئا ، الا أنه
لا يمكن أن يقدم على قتل انسان أو يجعل القتل أحد
أهدافه . . لذلك أصر لينكولن على الدفاع عنه وتبرئته
وانقاذه من حبل المشنقة .

وكان الشاهد الوحيد يعمل نقاشا اسمه «ألين»
. . وكان قد شهد بأنه رأى المشاجرة التي حدثت بين
الرجلين ، ورأى « داف » وهو يوجه الضربة القاتلة الى
رأس غريمه . وكانت شهادته على النحو التالي :

س : متى حدثت المشهورة ؟

ج : بين الساعة العاشرة والحادية عشرة مساء .

س : وهل كان هناك ضوء كاف يمكنك من رؤية
كل تفاصيل العراك ؟

ج : كان القمر بدرا كاملا . . وكان يتخذ في
السماء موضعا مثل موضع الشمس في الساعة العاشرة
صباحا .

وفدم لينكولن الى المحكمة كتابا علميا يشبت أن
القمر قد غرب في منتصف الليلة التي حدثت فيها
العراك . وأنه لذلك يكون مائلا تماما نحو الغرب فيما
بين الساعة العاشرة والحادية عشرة من تلك الليلة .
وبالتالى يكون القمر خافت الضوء بطريقة لا يمكن معها
رؤية تفاصيل العراك بوضوح . . وبما أن هذا الشاهد
قد كذب في موضوع ضوء القمر ، فمن المحتمل أن يكون
قد كذب أيضا في موضوع تلك الضربة القاتلة . .

وترافع لينكولن امام المحلفين الاثنى عشر الذين
سيقررون ما اذا كان داف مدانا أم بريئا . . أوضح
لهم أنه يعرف أسرة أرمسترونج منذ مدة طويلة ،
ويعرف أنها أسرة عادية ، قد تكون قد ارتكبت أخطاء
عادية مثل الأسر الأخرى ، ولكنها لم تكن أبدا أسرة
شريرة . . وأوضح لهم أيضا أن الابن داف قد يكون

شبابا متهورا أو طائشا مثل الكثيرين من قرنائه من الشباب.. وأن هذا الدرس الذى تلقاه فى هذه التجربة المريرة سيجعله ملتزما بسلوك أفضل بين الناس .. ولذلك فإن من الظلم أن يحكم عليه بالاعدام لجريمة لم يرتكبها ..

وهكذا حكمت المحكمة ببراءة داف أرمسترونج .. وعندما أطلق سراحه قال له لينكولن نصيحة غالية : « فلتذهب الآن يا داف الى بيتك .. ولتسكن شبابا صالحا .. واياك ان تضع نفسك مرة أخرى فى مشاكل جديدة ! » .

١٦ - مسألة العبيد

وخلال عمل لينكولن بمهنة المحاماة • فإنه لم ينخل تماما عن دوره الحكومى • فقد اتسعت اهتماماته وشملت موضوعات كثيرة كان أهمها موضوع العبيد •

وكانت مسألة العبيد تشغل بال الكثير من الأمريكين فى تلك الفترة • فقد كان المهاجرون يتدفقون فى أعداد كبيرة نحو الغرب ، وأخذوا يهيئون الأرض للزراعة على نطاق واسع ، وينشئون العديد من القرى والمدن والولايات الجديدة •

وكان نظام استخدام العبيد منسجما فيه فى

الولايات الجنوبية ، وغير مسموح به فى الولايات الشمالية ٠٠ ولكن ماذا عن الولايات الجديدة التى بدأت تنشأ فى الغرب ؟ ٠٠ هل يسمح فيها بتطبيق نظام استخدام العبيد ٠٠ أم يحرم فيها هذا النظام كما هو الحال بالنسبة للولايات الشمالية ٠٠ ؟

انقسم الناس فى هذا الأمر واختلفوا ٠٠ بعض الناس يقولون نعم ٠٠ وبعضهم يقولون لا ٠٠ وآخرون يقولون ان حسم هذا الموضوع يجب أن يترك لسكان هذه الولايات الغربية الجديدة ليقرروا بأنفسهم النظام الذى يرغبون فى تطبيقه ٠٠ كان الموضوع شائكاً وعويصاً ، ولكنه كان على قدر كبير من الأهمية .

وكان « ستيفن دوجلاس » يعتبر فى تلك الفترة أحد القادة الكبار فى الولايات المتحدة الأمريكية وكان شخصاً ذكياً يتمتع بشخصية قوية وبقدرة فائقة على الخطابة . وكان محل إعجاب الجماهير الأمريكية . وكان دوجلاس يرغب فى ترشيح نفسه ليصبح رئيساً للولايات المتحدة الأمريكية ٠٠ لذلك فقد كان يحاول

ارضاء سكان الولايات الجنوبية وارضاء سكان الولايات الشمالية في نفس الوقت . ولكنه لم ينبجح في ارضاء هؤلاء ولا أولئك .

أما أبراهام لينكولن فقد كان لا يرى وجوب تحرير العبيد مرة واحدة أو إلغاء هذا النظام هكذا بجرة قلم . . ولكنه كان يؤمن تماما بأن نظام العبودية نظام كرهه وغير انساني . . وبالتالي فقد كان لا يريد تطبيق هذا النظام أو السماح به في الولايات الجديدة الجديدة . . وكان يقول في هذا الشأن :

« عندما يحكم الرجل الأبيض نفسه بنفسه . . فهذه هي الحكومة الذاتية . . ولكن عندما يريد الرجل الأبيض أن يتحكم في غيره من الملونين فهذا هو الاستبداد والظلم . . ولا يجب إطلاقا أن يتحكم الإنسان في أخيه الإنسان دون رغبة هذا الأخير وموافقه ! » .

وهكذا بدأت معركة الحرية وتحرير الإنسان من قيود العبودية . وما أن شرع لينكولن في أول خطواته

فى تلك المعركة ، حتى قرر أن يواصل جهوده حتى
النهاية . وكتب لأحد أصدقائه خطابا يقول فيه :

« انى أومن بوجود الله .. وأعرف أن الله لا يقبل
الظلم ولا يرضى بأن يستعبد الانسان أخاه الانسان ..
وانى أرى أن العاصفة قادمة لا محالة .. وأعرف أن الله
معى .. وأنا مستعد ان أبذل كل جهدى وحياتى لتحقيق
الحق .. فأنا لا شىء على الاطلاق .. أما الحق والعدل
فهما كل شىء ! » .

١٧ - لينكولن ودوجلاس

سافر لينكولن ودوجلاس الى جميع أنحاء ولاية
اللينوى ، وعقدا عدة اجتماعات حضرها آلاف من الناس
وفى كل اجتماع من هذه الاجتماعات كان كل منهما
يخطب فى جماهير الحضور لعرض أفكاره ومبادئه
ومعتقداته .

وكانت الجماهير تصغى الى كل منهما بدهشة
وانبهار . فقد كان دوجلاس خطيبا بارعا مفوها . كما
كان لينكولن خطيبا بسيطا وقويا فى نفس الوقت
وكلامه يدخل الى القلب مباشرة . .

وانقسم الناس حيال هذين الخطيبين . فكان بعضهم يؤيد أفكار دو جلاس ، وبعضهم يؤيد أفكار لينكولن . . وربما كانت هذه الخطب التي ألقاها لينكولن هي التي أذاعت شهرته في أوسع الآفاق ، كما أن الأفكار التي نادى بها في تلك الخطب أكسبته المزيد من التأييد والاحترام .

وقد أجريت انتخابات الرئاسة سنة ١٨٦٠ . . وعندما أعلنت نتيجة هذه الانتخابات . . علت الدهشة وجه لينكولن ووجوه كل اصدقائه ومؤيديه . . لقد أصبح ابراهام لينكولن . . ذلك المحامي الريفى البسيط الذى لم يكن معروفا منذ سنوات قليلة ، رئيسا للولايات المتحدة الأمريكية .

١٨ - فى البيت الأبيض

وفى ١١ فبراير ١٨٦١ ٠٠ غادر لينكولن بملءته
سبرنج فيلد ليبدأ رحلته الطويلة الى واشنطن .
مصطحبا معه زوجته وأبناءه الثلاثة الصغار ٠٠ وقبل
أن يبدأ القطار مغادرة المحطة ، رفع لينكولن قبعته
تحية لمودعيه من الأصدقاء والجيران ، وترقرقت فى
عينيه الدموع وهو يلقي فيهم خطبة قصيرة قال فيها :
« أصدقائى ٠٠ انى مدين لهذا المكان وأهل هذا المكان
بكل شئ ٠٠ لقد عشت بينكم هنا أيها الناس الطيبون
٠٠ عشت بينكم كل صباى وشبابى ٠٠ وفى هذا المكان
ايضا ولد أبنائى ٠٠ وفيه أيضا دفن أحد أبنائى

٠٠ وانا أترككم الآن ٠٠ دون أن أعرف متى اعود اليكم
٠٠ بل ودون أن اعرف ان كنت سأعود اليكم أم لا ٠٠
ولكن الله سيكون معي هناك في واشنطن وسيكون معكم
ايضا في نفس الوقت ٠٠ فنقوا في الله كما أني فيه ٠٠
ولندعوه جميعا أن يلهمنا القدرة على فعل الخير والعمل
الصالح ٠٠»

وعندما بدأ لينكولن عمله الصعب وهو ينق في
الله ٠٠ وفي واشنطن تقلد منصب رئيس الولايات
المتحدة الأمريكية في جو تكتنفه اصعب الظروف .

كانت هناك سبع ولايات جنوبية اعلنت انفصالها
عن الاتحاد واختارت لنفسها رئيسا آخر ٠٠ لأن هذه
الولايات كانت تعتمد على نظام استخدام العبد ، وهو
نظام انت تعارضه الولايات الشمالية .

كانت الولايات الشمالية نفسها تعاني من بعض
الاضطرابات ٠٠ وكان معنى السماح بانفصال الولايات
الجنوبية أن الدولة كلها ستتهار ولن تكون هناك أمة
أمريكية موحدة ٠٠ فما العمل ؟!

كان على الرئيس لينكولن أن يحدد الاجابة على
هذا السؤال ٠٠ كان عليه أن يجد حلا لكل هذه
المشاكل الشائكة البالغة الصعوبة والتعقيد ٠٠ وذلك
بالرغم من أنه كان قليل الخبرة بمثل هذا النوع من
المشاكل المعقدة ٠٠ وبالرغم من أنه كان محاطا بمجموعة
من المستشارين الضعاف ٠٠ بينهم مستشار كان يظن
في نفسه القدرة على حل كل تلك المشاكل ٠٠ وكان
يرغب في ان يترك له الرئيس حرية التصرف في كل
شيء ٠٠

١٩ - وبدأت الحرب الأهلية

وتلاحقت الأحداث بسرعة شديدة .. كانت هناك قلعة اسمها « فورت سومتر » تقع في إحدى الولايات الجنوبية .. وكان يشغلها جنود تابعون للولايات الشمالية .. وطلب جنود الجنوب من جنود الشمال ان يسلموا القلعة لهم ويرحلوا ..

رفض جنود الشمال هذا الطلب ، فهجم جنود الجنوب على القلعة لمدة يومين متواصلين حتى سقطت القلعة في أيديهم .. وهكذا بدأت الحرب الأهلية الكبرى بين الولايات الشمالية والولايات الجنوبية .

واستنفذ الرئيس لينكولن جيش الشمال ، كما أعد الولايات الجنوبية جيشها وجهزته للحرب . . وسرع ما نشبت المعارك بين الفريقين .

استمرت هذه الحرب الأهلية الكبرى على مدى سنوات أربع طويلة . . سقط فيها قتلى مئات الآلاف من شباب الفريقين . ولم يعد هناك سوى الحزن العميق والمعاناة الشديدة وأخبار الموت في كل هذه الولايات المتحاربة .

وازداد الأمر سوءا حين انقسمت الأسر على نفسها وأصبح بعض أفراد الأسرة الواحدة يؤيدون الشما وبعضهم يؤيدون الجنوب وكان كل فريق منهما ينضو إلى الجيش الذي يؤيده . . وهكذا أصبحت الأسر الواحدة تحارب بعضها بعضا ، كما أصبح الأخ يحار أخاه . . !

وكانت الولايات الشمالية سيئة الحظ في بدا الحرب ، خصوصا بالنسبة لسوء اختيار الضباط الذين كانوا يتولون قيادة الوحدات المحاربة . كما كان الجنر

فى جيش الجنوب يحاربون بشجاعة وحماس زائد ..
ودارت المعارك الحربية فى الشمال وفى الجنوب وفى
الغرب .. وكان كل من الفريقين يتعرض للهزيمة
أو يحوز النصر حسب أحوال كل معركة .. وجاء وقت
أوشك فيه جيش الجنوب أن يصبح قريبا من واشنطن
نفسها ، ولكنه سرعان ما أجبر على التقهقر .. وهكذا
ستمرت المعارك تدور وتشتد بين الجنوب والشمال
حتى أصبح الكثيرون يظنونها حربا بلا نهاية !

وكان الرئيس لينكولن يدير الأمور من مقره فى
البيت الأبيض وقلبه مفعم بالحزن العميق .. ولكنه
كان ثابت الجأش ، يثق تماما فى أن السلام سيعود
مرة أخرى الى الولايات الأمريكية ، وستعود الولايات
المتحدة الأمريكية دولة موحدة ..

كان كثيرون يشكون من تصرفاته وأوامره ،
ولكنه كان يستمع اليهم بهدوء وصدر رحب .. وكان
البعض يقفون ضده علنا ولكنه لم يتخذ ضدهم أى اجراء
غاضب .. كان قلبه الكبير يتسع لكل تلك المتاعب

والمشاق ٠٠ وازداد تمسكه بأن تصل الأمور الى نهايتها
المحتومة ، وهي اقرار السلام وعودة الأمور الى نطاقها
السليم ٠

ورويدا رويدا بدأ الناس البسطاء العاديون في
كل الولايات يشعرون بأن الرئيس الجالس في البيت
الأبيض رئيس عظيم ، ورجل من أعظم الرجال الأمريكيين
المخلصين ٠

ولكن لينكولن كان له عيب خطير وحيد ، كان
يسبب قلقا لدى معظم ضباط الجيش ٠٠ فقد كان
يحب الناس حبا جما ، وكان يقدر الضعف الانساني
الذي قد يصيب أى واحد من البشر ، ولذلك فقد
كان يعفو عن الأخطاء التي قد يرتكبها أى انسان
ويحاول في الوقت نفسه أن يعيد هذا الانسان المخطئ
الى سواء السبيل ٠

كان لينكولن يعارض مثلا في منح وحدات الجيش
حق انشاء محاكم ميدانية لمحاكمة الجنود الذين يفرون
من المعركة أو الذين يضبطون نائمين أثناء نوبتهم في

الحراسة واصدار الحكم باعدامهم . وكان يقول دائما
يجب العفو عنهم واعطائهم فرصة أخرى . . ولكن
ضباط الجيش كانوا لا يفضلون مثل هذه الطريقة
الرحيمة في معالجة مثل هذه الاخطاء العسكرية التي
كانوا يعتبرونها من الجرائم الخطيرة التي تستحق
عقوبة الاعدام .

كذلك فقد كان يستجيب لرغبة أم تذرف الدموع
مطالبة بالعفو عن ابنها . . أو يستجيب لصيحة غلام
صغير يتوسل مطالبا بالعفو عن أبيه . . كانت مثل
هذه الأشياء تمس شغاف قلبه . .

٢٠ - لينكولن والجندى

والقصة التالية تعتبر نموذجا لما سماه البعض « ضعف الرئيس » ٠٠ ففى أحد الأيام وصل ضابط برتبة كابتن ومعه بعض الجنود الى البيت الأبيض ليعرض على الرئيس موضوع أحد الجنود الشبان الذى ضبط نائما اثناء نوبة الحراسة وقرر قادة الوحدة العسكرية التى ينبعها هذا الجندى الحكم باعدامه رميا بالرصاص .

واستعطف الكابتن الرئيس لكى يتدخل فى الأمر لانقاذ هذا الجندى من الاعدام ٠٠

وبعد بضع ساعات قليلة ، اندهش هذا الجندى

المحبوس تحت الحراسة فى احدى الخيام حين رأى الرئيس
أمامه . وكان الرئيس فى الوقت نفسه يعتبر قائدا
أعلى لجيش الولايات الشمالية .

سأل الرئيس الجندى عن بيته واسرته ومزرعة
الأسرة . . وشاهد صورة الأم التى كان يحتفظ بها
الجندى . وقال له الرئيس .

— لقد نشأت أنا نفسى فى مزرعة مثل مزرعة
أسرتك . واذا قررت أن أعفو عنك وأطلق سراحك . .
فان عليك أن تدفع ثمنا غاليا نظير ذلك !

فتهلل وجه الجندى بالبشر والفرح وقال :

— انى متأكد ياسيدى أن أبى سيفرح لذلك وأنه
على استعداد أن يبيع جزءا من أرض المزرعة ليدفع الثمن
المطلوب . .

وقال الرئيس :

— لا . . ليس هذا كافيا . . ان عليك وحدك أن
تسد هذا الثمن . . وهو أن تنبت أنك جندى شجاع
مخلص لجيش الاتحاد !

ووضع الرئيس يده على رأس الجندي حين أقسم
الجندي بأنه سيكون مخلصا للجيش وسيكون محلا لثقة
الرئيس .. وسيحارب بكل ما يملكه من شجاعة .

ودفع هذا الجندي الثمن فيما بعد . فقد أثبت
شجاعة فائقة في الحرب ، وبينما كانت المعركة مع العدو
على أشدها ، قفز هذا الجندي الى النهر لينقذ بعض
الجرحي من زملائه الجنود .. وظل يقوم بهذه العملية
الى أن أصيب برصاص العدو اصابة بالغة .. وحين كان
يحتضر ويلفظ آخر أنفاسه .. كان يشكر الرئيس الذي
أتاح له هذه الفرصة لكي يستشهد بشجاعة في سبيل
وطنه !

٢١ - تحرير العبيد

كان أبراهام لينكولن يكره نظام العبودية الى أقصى حد . ولكنه كان يدرك عدم امكان اطلاق حريات كافة العبيد دفعة واحدة ، ودون أن يتم تعويض ملاك العبيد . . وكان يعرف جيدا أن مثل هذا القرار سيغضب الولايات الجنوبية .

وكان الهدف الأول أمامه هو إعادة توحيد الأمة وعدم تجزئة الولايات المتحدة الأمريكية ، وكتب في هذا الشأن يقول : « ان أهم أهداف هذه الحرب الأهلية هو إعادة توحيد الأمة . . ولو كان في استطاعتى أن أحقق

هذا الهدف دون تحرير العبيد لفعلت . . ولو كان فى استطاعتى أن أحقق هذا الهدف مع تحرير العبيد فى نفس الوقت لفعلت ذلك على الفور . . وكل ما سوف أفعله نحو العبيد والمملونين بصفة عامة هو فى صالح الاتحاد » .

وبينما كانت الحرب مستمرة كان لينكولن يقول دائما ان من المستحيل ان تكون هناك دولة موحدة نصفها من العبيد ونصفها الآخر من الأحرار . . ويجب أن يلغى نظام العبودية . .

وكان عليه أن ينخذ قرارا شجاعا . .

فبينما كانت الحرب دائرة . . وقع أبراهام لينكولن على وثيقة فى غاية الأهمية . أعلن فيها تحرير جميع العبيد فى الولايات المنفصلة التى أعلنت الحرب على الاتحاد . . وكان معنى هذا القرار هو اعلان تحرير نحو ثلاثة أو أربعة ملايين من العبيد عند انتهاء الحرب لصالح الاتحاد .

٢٢ - خطبة جتيسبورج

وقعت أشرس معارك هذه الحرب فى منطقة جتيسبورج ٠٠ ففى هذه المعركة اندحر جيش الجنوب وانهزم هزيمة ساحقة وانسحبت فلوله عائدة الى الولايات الجنوبية ٠٠ وقد سقط فى هذه المعركة عدة آلاف من الجنود والضباط من الجيشين المتحاربين ٠٠ وقد دفن هؤلاء القتلى جميعا حيث سقطوا فى ميدان المعركة .

وقد نظم عقد اجتماع كبير فى نفس المكان الذى دارت فيه تلك المعركة الكبيرة ، وذلك لتكريم الجنود

الشجعان الذين قتلوا من الجانبين المتحاربين . وحضر الاجتماع عدة آلاف من الناس من كافة المناطق المحاورة وذلك للاستماع الى الخطب التي سوف يلقيها « مستر ايفريت » ممثل الجنوب ، وأبراهام لينكولن رئيس الولايات المتحدة الأمريكية .

وكان « مستر ايفريت » عميدا لاحدى الكلمات . . وعلى علم واسع ، وخبرة لا حده لها نتيجة أسفاره الى الخارج مرات عديدة . وبالإضافة الى ذلك ، فقد كان متمكنا من فن الخطابة وله قدرة فائقة على الافئاع .
ووقف « مستر ايفريت » وألقى خطبة جياوزب الساعتين .

ولم يكن أمام لينكولن كثر من الوقت ليعده خطبته . . لدرجة انه انتهى من كتابه هذه الخطبة قبل أن يشرع فى التوجه الى جتيسبورج بدقائق قليلة .
وقف لينكولن أمام كل هذا الجمع الحافل ، بجسمه الطويل النحيف ، ووجهه الذى ترسم عليه كل ملامح الحزن بسبب هذه الحرب . .

ظل صامتا لحظة ، ثم بدأ يتكلم كما لو كان
لا يرى كل هذا الجمهور أمامه .. تكلم ببطء ولكن
بصوت مرتفع لمدة ثلاث دقائق ثم جلس على مقعده !

وعندئذ التفت أحد الرجال الجالسين جوار
« مستر ايفريت » وقال له : « يبدو أنه فشل في الرد
على خطبتك .. انى آسف له أشد الأسف » .

ولكن لينكولن قدم اليهم الخطبة مكتوبة .. وما
أن قرأوها حتى تبين لهم وتبين لجمهور الحاضرين نبل
المعاني التى تتضمنها هذه الخطبة .

كانت مكتوبة بلغة انجليزية رفيعة المستوى نحفل
بمعاني النبل والعفو عند المقدرة .. وقد اعتبرت هذه
الخطبة واحدة من أعظم الخطب السياسية والوطنية فى
العالم . وقد اشتهرت خاتمتها التى تقول :

« ستشهد هذه الأمة برعاية الله مولدا جديدا
للحرية .. وان الحكومة التى أوجدها الشعب لصالح
الشعب لن تختفى من على وجه الأرض ! » .

٢٣ - نهاية الحرب الأهلية

وفي سنة ١٨٦٤ أعيد انتخاب إنكولن مرة ثانية رئيسا للولايات المتحدة الأمريكية . وكان له أعداء كثيرون كانوا يعملون على إسقاطه . ولكن الأغلبية من الناس العاديين كانوا يثقون فيه وفي قدرته على قيادة الاتحاد في هذا الوقت العصيب .

وفي بداية فترة رئاسته الثانية ، كانت هناك بوادر تؤكد قرب انتهاء الحرب . فقد أصبح جيش الشمال أكثر قوة ومقدرة ، كما أصبح قاداته أفضل مما كانوا عليه من قبل . كذلك فقد بدأ جيش الجنوب

يتقهقر ببطء بعد أن منى بهزائم متوالية .

وعندما أدرك لينكولن أن الحرب أصبحت وشيكة
الانتهاء بنصر حاسم لجيش الشمال ، بدأ يضع خطط.
ما بعد الحرب . كان أن يقرر كيفية إعادة الولايات
الجنوبية المهزومة مرة أخرى إلى الاتحاد . . وكان عليه
أن يقرر كيفية إعادة سلام بين الشمال والجنوب . .
وبين هؤلاء الذين را يكرهون بعضهم بعضا ويقتلون
بعضهم بعضا . . أن عليه أن يزيل كل تلك الكراهية
ليحل محلها . . والوئام . . ليعيش الجميع كأمة
واحدة في واحدة . .

٢٤ - الموت

ولكن كانت هناك تيارات لا نريد لكل تلك الأعلام أن تتحقق ، ولم تترك بالتالى فرصة للرئيس أن يحقق آماله وأحلامه لصالح الأمة . وكان هناك شباب جنوبى يدعى « جون بوث » . . كان يكره الشماليين كلهم بما فيهم الرئيس ، وقد وضع هذا الشاب خطة لقتل الرئيس منذ مدة . . ولكن الانتصارات الحاسمة التى حققها الشماليون جعلت هذا الشاب يعجل بتنفيذ خطته .

وفى مساء ١٤ ابريل ١٨٦٥ ، ذهب الرئيس ابراهام لينكولن ومعه زوجته الى أحد المسارح فى

واشنطن • وكان « جون بوث » مستعدا لارتكاب جريمته
وأعد جميع الخطوات بعناية ودقة •

وتسليل بوث بهدوء الى المقصور، التي يجلس بها
الرئيس وحرمة • وصوب مسدسه الى رأس الرئيس من
جهة الخلف ، وأطلق النار •• ثم ضرب بسينه أحد
الرجال الذين اسرعوا لمحاولة القبض عليه ، ولكنه
استطاع أن يفلت منهم ، ثم قفز الى خشبة المسرح بين
الممثلين ، وانطلق الى حصان كان ينتظره عند الباب
الخلفي للمسرح ••

ونقل الرئيس لينكولن الى بيت قريب عبر
الشارع ، وأسرع اليه الأطباء لاسعافه •• ولكنه لفظ
آخر أنفاسه في صباح اليوم التالي ••

ولا يمكن وصف مشاعر الناس في كل الولايات
المتحدة الأمريكية حين وصلتهم أنباء مصرع رئيسهم
المحبوب •• لقد بكاه الرجال بالدموع •• وحتى
الجنوبيين أنفسهم حزنوا عليه حزنا شديدا لأنهم ادركوا
أنهم قد فقدوا صديقا ذا قلب رحيم •

ونقلت جثته فى قطار حملها الى مدينه سبرنج
فيلد بولاية الينوى ٠٠ وفى كل ولاية وكل مدينه .
كبيرة أو صغيرة وفى كل قرية وقف الناس صامتين
حدادا وحزنا واحتراما لهذا الرجل العظيم ٠٠ الذى بدأ
حياته فى كوخ فقير مشيد بجذوع الاشجار ٠٠ وانتهت
حياته وهو يعيش فى البيت الأبيض ٠٠ وما زالت
ذكراه موضع الاحترام والتبجيل لدى الشعب الامريكى
وفى جميع الولايات المتحدة الأمريكية .



اطلاق الرصاص على لينكولن •

مدام کوری

ولدت « مارياسكلودوفسكا » في مدينة وارسو
عاصمة بولندا في سنة ١٨٦٧ . وكان أبوها يعمل
مدرسا في إحدى مدارس البنين . وكانت أمها ناظرة
لاحدى مدارس البنات .

وكان هذان الوالدان من طراز خاص . ولحسن
حظ أبنائهما أنهم نشأوا تحت رعاية هذين الأبوين .
في بيت يملؤه الحب العائلي وحب الكتب والدراسة .
كانت الأسرة بولندية . ونشأت مارياسكلودوفسكا منذ
طفولتها على حب وطنها بولندا . وكانت مثل هذه
المشاعر الوطنية محرمة على البولنديين في ذلك الزمن .
لأن روسيا كانت تحتل آنئذ جزءا كبيرا من الأراضي
البولندية ، وكان قبصر روسيا يعامل البولنديين بمتى
العنف والظلم ، وأصدر أوامره بأن تحل اللغة الروسية
محل اللغة البولندية . وحرم على المدرسين تعليم اللغة



البولندية فى المدارس كما حرم عليهم تدريس تاريخ
بولندا •

وظلت ماريا طوال عمرها تذكر تلك القصة التى
حدثت فى الفصل المدرسى اثناء طفولتها • •

١ - حين ظهر الخطر فى حجرة الدراسة

كانت البنات الصغيرات جالسات على مقاعدهن بحجرة الدراسة ، ينصتن بشغف الى درس فى تاريخ بولندا ، يلقيه عليهن المدرس باللغة البولندية . وكانت السلطات الروسية قد حرمت تدريس هذا التاريخ وتلك اللغة .

وفجأة دق الجرس . . دقتين طويلتين أعقبتهما دقتان قصيرتان . . وكانت هذه هى الاشارة المتفق عليها . . أن يدق حارس بوابة المدرسة الجرس بتلك الطريقة لينبه المدرسين بأن هناك شخصا قادما فى طريقه الى المدرسة .

وبسرعة شديدة جمعت كتب التاريخ الخطرة
وأخفيت في مكان آمن ، وأخرجت البنات أدوات الخياطة ،
وتظاهرن بأنهن يتعلمن طرق الخياطة الصحيحة .

وفتح باب حجرة الدراسة . . ودخل موظف
حكومي كبير فخور بنفسه ويمشي بخيلاء بين صفوف
المقاعد . . وطلب الموظف أن تتقدم واحدة من البنات
الصغيرات لتجيب عن بعض أسئلة يريد القاءها .

عندئذ تقدمت ماريا وأعلنت استعدادها للإجابة ،
برغم أنها كانت أصغر بنات الفصل سنا ، ويفل عمرها
بنحو سنتين عن عمر أية بنت أخرى . كما كانت أكثر
البنات اجادة للغة الروسية .

قال الموظف بصوت مرتفع :

— رددى صلاتك . .

فرددت ماريا صلاة قصيرة باللغة الروسية . .
وواصل الموظف الكبير أسئلته للبنات الصغيرات :

— والآن . . ما اسم قيصر روسيا المقدسة . . ومن

هم أعضاء عائلة القيصر .. وما هي ألقابهم .. و
الذى يحكم هذه البلاد الآن ؟

وأجابت ماريا على كل هذه الأسئلة بإجابات سريعة
وصحيحة .. جعلت الموظف الكبير يغادر حجرة الدراسة
راضيا مسرورا .

وعندئذ ناداها المدرس :

— تعالى يا صغيرتى العزيزة ..

فتقدمت ماريا الى المدرس الذى ربت على ظهرها
وقبلها .. فانهمرت الدموع من عينيها !

٢ - طفولتها وصباها

وحين بلغت ماريا العاشرة من عمرها ، ماتت أمها الحنون ، فكانت صدمة شديدة وقعت عليها وعلى الأسرة كلها . الأب . . والأختين . . والآن الصغير .

وبذلت الأخت الكبرى « برونيا » قصارى جهدها لتحل محل الأم في خدمة الأسرة ورعايتها واحاطتها بالحب والحنان المفقده بموت الأم . ومع ذلك فقد امتلأ قلب ماريا بالحزن العميق لموت أمها وموت إحدى أخواتها من قبل . . ولم تفهم من معنى الموت فى تلك السن المبكرة الا أنه حادث محزن رهيب يخطف أحبابها .

ودفنت ماريّا الصغيرة جميع هذه الأحزان فى الانغماس فى دروسها . . وكانت تتميز بميزتين ظهرتّا بشكل واضح لكل أعضاء أسرّتها ولكل مدرسيها وزملائها فى المدرسة .

الميزة الأولى أنّها كانت تفهم جميع دروسها بمنتهى السهولة ، وكانت تتمتع بذاكرة قوية جدا ، فبمجرد قراءة قصيدة من الشعر مرتين فقط ، كانت القصيدة مهما كانت طويلة ، تنطبع فى ذاكرتها بحيث تتمكن من تلاوتها غيبا بعد ذلك ، دون أن ترتكب غلطة واحدة . لدرجة أن بعض زميلاتّها فى المدرسة كن يعتقدن أنّها كانت تحفظ كل هذه القصائد سرا .

والميزة الثانية أنّها حين كانت تنغمس فى قراءة أحد الكتب ، كانت تنصرف بكل كيائها لمتابعة القراءة فى هذا الكتاب ، ولا تشعر بأى شخص أو شىء آخر جوارها ، بل ولا تشعر أيضا بأية ضجة بجانبها مهما كانت مرتفعة . .

وفى إحدى المرات ، بينما كانت ماريّا منهمكة فى

قراءة أحد الكتب ، وهى جالسة الى منضدة كبيرة
بالبيت ، كانت هناك ضجة كبيرة يصنعها اخوتها الذين
كانوا يلعبون ويصيحون بأصوات عالية . ومع ذلك فلم
ترفع ماريّا عينيها عن صفحات الكتاب لحظة واحدة ،
وكانها لا تسمع هذه الأصوات على الاطلاق .

وأرادوا أن يعاكسوها معاكسة بريئة ، فأحاطوها
بكراسى البيت من كل جانب . . على يمينها وعلى
يسارها وفوق رأسها . . كل هذا وهى لا تدري شيئا
عما يصنعونه حولها بسبب شدة انهماكها فى القراءة
وانصرافها تماما عن كل ما حولها . . وظل الوضع على
ذلك حتى انتهت ماريّا من القراءة وطوت الكتاب وقامت
من مقعدها . . وفجأة : بوم ! . . ارتطمت رأسها
بالكراسى ، وسقطت كل كومة الكراسى التى كانت
تحيط بها . . فانفجر الجميع ضاحكين فيما عداها . .

وحين بلغت سن السابعة عشرة . . كان أبوها
لا يكسب من مهنته ما يفى بتكاليف الأسرة على نحو طيب
معقول . . لذلك فقد اضطرت ماريّا أن تقوم باعطاء

الدروس الخصوصية لتلميذات المدارس لكي تكسب
ما تساعد به أسرتهن . .

ولم يكن هذا العمل سهلا ولا هينا . . فقد كان
عليهن في معظم الأحيان أن تذهب الى بيوت تلك
التلميذات في مختلف أنحاء وارسو . . مخترقة الكثير
من الشوارع برغم البرد الشديد أو هطول الثلج أو
المطر . . وفي بعض الأحيان كانت تتعرض للمعاملة
الجافة من جانب بعض الأمهات الثريات . . فقد كان
بعضهن يقلن لاحدى خادما المنزل : « قولى للآنسة
ماريا سكلودوفسكا أن تنتظر . . فابنتى ستقابلها بعد
نحو ربع ساعة ! » . . كما كانت بعض الأمهات تنسى
أن تمنحها أجرها الشهري ، وتجعلها تنتظر هذه النقود
التي تحتاجها الاسرة أشد الاحتياج .

٣ - الجامعة العائمة !

وبعد أن أنهت ماريًا دراستها المدرسية ، أرادت أن تواصل تعليمها في « الجامعة العائمة » . وهي جامعة على شكل تنظيم سرى ، مكونة من فريق كبير من الشباب والشابات الذين كانوا يرغبون في مواصلة التعليم العالي بعد انتهاء التعليم المدرسى .

وكان هؤلاء الشباب يلتقون سرا في أماكن مختلفة وفي أوقات مختلفة للاستماع إلى المحاضرات، التي يلقيها عليهم الأساتذة المتخصصون . وكانت مثل هذه الاجتماعات محرمة تحريما قاطعا بأوامر من السلطات

الروسية ، بحيث اذا تم ضبط أحد هذه الاجتماعات
الدراسية ، كان يوضع الجميع في السجن . . الطلبة
والمدرسون معا .

وكان من أعظم أهداف هذه الجامعة القائمة أن
الطلبة والطالبات الذين كانوا يتعلمون فيها ، كان عليهم
في نفس الوقت أن يضموا اليهم مزيدا من الطلبة
والطالبات الآخرين ، ويقومون بتعليمهم ما تلقوه من
دروس ومحاضرات . وبذلك تتسع القاعدة العريضة
من الشباب الراغب في خدمة مستقبل وطنه بولندا .

وكانت ماريا تحب أختها الكبرى « برونيا »
وتحترمها احتراما شديدا . . وتتمنى من أعماقها أن تعاود
هذه الأخت الحنون في تحقيق أملها الكبير ، وهو أن
تسافر الى باريس لتدرس الطب وتصبح دكتورة لتضفي
نفسها في خدمة الشعب البولندي .

ولكى تساعد ماريا أختها في تحقيق هذا الأمل
وضعت خطة تتسم بالذكاء . . وحتى يتم تنفيذها
الخطة بنجاح ، أجلت ماريا البدء في تحقيق طموحها

الشخصي ، وهي أن تذهب هي الأخرى الى باريس
لتكملة تعليمها العالي .

٤ - ماريّا وأختها برونيّا

وفى يوم ما ، قالت ماريّا لأختها :

- برونيّا ٠٠ لقد فكّرت كثيرًا فى أمرك ٠٠ وفكر
أبى معى أيضًا ٠٠ واعتقد أنى وجدت لك طريقة
تستطيعين بها تحقيق أملك !

فقالت الأخت فى دهشة :

- طريقة ؟ ٠٠ أية طريقة تلك ؟!

- قولى لى أولا ٠٠ اذا سافرت الى باريس ٠٠
فكم شهرا تستطيعين أن تعتمدى على ما ادخرته من
نقود ٠٠ ؟!

- لقد ادخرت قيمة أجرة السفر الى باريس
مبلغا آخر يكفينى لمدة سنة .. ولكنك تعلمين ان
دراسة الطب تستغرق خمس سنوات كاملة ..

- نعم يا برونيا .. انى أعرف ذلك . ولهذا فاننا
نستطيع أن نتعاون معا ليساعد كل منا الشخص الآخر
بالتناوب .. اننا اذا لم نعمل معا ، فلن نستطيع ، لا
أنا ولا أنت . أن نحقق أهدافنا وطموحاتنا .. بل وان
نستطيع حتى أن نغادر وارسو .. أما اذا اقتنعت
بخطتى فانك تستطيعين أن تسافرى الى باريس فى هذا
الخريف !

فصاحت برونيا مندهشة :

- ماريا .. هل جئنت .. ؟!

فأجابت ماريا بنقّة :

- الأمر بسيط يا برونيا .. ستذهبن الى باريس
.. وتبدئين دراستك .. وقبل أن تنتهى نقودك ،
سأكون أنا قد دبرت لك بعض النقود وسيقوم أبى

أيضا بتدبير مبلغ آخر .. وسنقوم بارسال هذه النقود اليك فى باريس لمواصلة دراستك .. وقد تعاهدت مع أبى على أن نرسل لك ما يمكنك من مواصلة الدراسة بين حين وآخر .. وبعد أن تنتهى من دراسة الطب وتصبحين طبيبة .. سيحل دورى .. وسأذهب أنا الى باريس لأبدأ دراستى .. على أن تقومى انت بارسال النقود التى ستساعدنى على مواصلة الدراسة !

واغرورقت عينا برونيا بالدموع عند سماعها هذا العرض الكريم من أختها .. ولكنها سألتها :

— ولكن من أين ستحصلين على هذه النقود التى ستساعديننى بها ، والتى يمكنك أيضا أن تتدخلى جزءا منها لنفسك ..

فقالت ماريا ببساطة :

— سأعمل مربية أطفال لدى احدى العائلات .. وبذلك سأوفر تكاليف الطعام والمأوى .. وأستطيع أن احتفظ بكل أجرى .. واعتقد أن ذلك يكفى لتنفيذ خطتنا ..

- ولكن لماذا أذهب أنا الى باريس أولا ؟ ..
يمكنك أن تذهبي أنت في البداية وسأقوم أنا بمساعدتك
طبقا لهذه الخطة .. !

- لا يا برونيا .. انك الآن فى العشرين من عمرك
.. أما أنا فمازلت فى السابعة عشرة .. وأنا على يقين
من أنك عندما تصبحين طبيبة غنية .. فانك سوف
تفرقيننى فى الذهب .. !

٥ - مربية الأطفال

وهكذا سافرت برونيا الى باريس لتبدأ دراسة الطب فى خريف سنة ١٨٨٥ ٠٠ وفى نفس الوقت تقدمت ماريا الى أحد مكاتب التوظيف والتشغيل لتبحث عن وظيفة « مربية أطفال » ٠ وسألها احدى موظفات المكتب عن دراستها ، والشهادات التى حصلت عليها ، واللغات التى تستطيع التحدث بها ، والوظيفة التى ترغب فى الالتحاق بها ٠٠ ثم عادت ماريا بعد ذلك الى بيتها ٠ وأخذت تنتظر ٠

وبعد شهور قليلة ، حصلت ماريا على وظيفة مربية

أطفال فى أحد البيوت الكبيرة فى منطقة ريفية تبعد عن مدينة وارسو بنحو ستين ميلا (٩٦ر٥ كم) وفى هذا البيت بدأت ماريا حياة جديدة حيث بدأت عملها فى رعاية فتاة صغيرة عمرها نحو عشر سنوات .

وبالرغم من أن عملها الجديد كان يستغرق معظم جهدها ووقتها ، الا أنها لم تنقطع عن قراءة الكتب .

وخلال اقامتها فى هذا البيت . حدثت واقعتان لا بد من الاشارة اليهما . . أما الواقعة الأولى فهى أن ماريا ، برغم كل المشاغل والواجبات الملقاة على عاتقها ، الا أنها نذرت من وقتها ساعتين كل يوم كانت تقوم فيهما بتعليم مجموعة من الأطفال الفقراء من أبناء أهالى تلك المنطقة الريفية ، مبادئ قراءة وكتابة اللغة البولندية .

وكان هؤلاء الأطفال من الصبيان والبنات الذين يتراوح عددهم بين عشرة وثمانية عشر طفلا . . وكانوا فقراء جدا ، لا يعرفون النظافة ، ولا يتمتعون بالذكاء . ولكنهم كانوا يرغبون فعلا فى التعلم . .

وكانت ماريّا تؤدى هذا العمل الاغسافى بحد كبير
من المتعة والسعادة ، خصوصا عندما كان آراء وأمهات
هؤلاء الأطفال يعترفون بفضلها العظيم فى تعليم أبنائهم
اللغة البولندية . وكادت ماريّا أن تنسى تماما أن الشرطة
لو علمت بأمر مدرستها الصغيرة ، وقيامها بتعليم الأطفال
تلك اللغة الممنوعة المحرمة ، لكان مصيرها السجن
والنفي الى خارج بولندا . .

أما الواقعة الثانية ، فسوف نذكرها فيما يلى . .

٦ - قصة حب

كان الابن الأكبر للأسرة التى تعمل ماريا فى بيتها ، شابا يتلقى تعليمه فى وارسو ٠٠ وفى الاجازة المدرسية ، عاد الى بيت الأسرة ، فوجد فى البيت شابة صغيرة جميلة تعمل مربية لأخته ٠٠

رآها أجمل وأفضل وأذكى من أية فتاة أخرى رآها من قبل ٠٠ فهى تستطيع أن ترقص فى رشاقة مجموعة من الرقصات الشعبية البولندية ٠٠ وتستطيع أن تلعب لعبات ذكية عديدة ٠٠ وتستطيع أن تقول الشعر بسهولة وعذوبة ٠٠ وتتمتع بذوق رفيع وأخلاق عالية .

وقع الشابان فى الحب . . وأراد الابن الأكبر أن
يتزوج حبه بالزواج من هذه الفتاة العظيمة . . وذهب الى
والديه ليستأذنهما فى هذا الزواج . .

انفجر الأب غاضبا . أما الأم فقد أغمى عليها ! . .

كيف يتزوج ابنهما العزيز من مثل هذه الفتاة
التي لا تملك شيئا على الاطلاق . . فتاة فقيرة اضطرت
أن تعمل كمربية أطفال فى بيتهم بسبب فقرها وحاجتها
الى المال . .

ولم يهتم الوالدان اطلاقا بأن الفتاة جيمة وذكية
أو من أسرة طيبة ، كما لم يهتموا بأن الفتاة تتمتع فعلا
بأخلاق حميدة . . كان اهتمامهما منصبا على استحانة
أن يتزوج ابنهما العزيز من فتاة تعمل كمربية أطفال .

وكانت شخصية الابن ضعيفة فرضخ الى قرار
والديه بعدم الموافقة على زواجه . . واضطر الى أن يصرف
النظر عن حبه والى تغيير رأيه . . وكانت هذه الصدمة
جرحا عميقا لمشاعرها .

وفي تلك الفترة عرفت ماريا طعم الحزن . .
وازدادت أحزانها أكثر حين علمت أن أخاها الأصغر قد
غادر وارسو دون أن يكمل تعليمه المدرسي . . وفي
أحد الخطابات التي أرسلتها الى أخيها لتستجته على
العودة الى وارسو ليتم تعليمه ، نقرأ هذه السطور .

« لقد فقدت الأمل في أن أكون شيئاً في حياتي
المستقبلية . . وكل أمل منحصراً الآن فيك أنت وفي أختي
برونيا . . وسأبذل كل جهدي لكي أساعدكما في بناء
المستقبل . . » . .

وواصلت عملها كسربية أطفال لتتمكن من إرسال
نصف أجرها الشهري الى أختها التي تتعلم في باريس
. . ولتساعد أيضاً أخاها لكي يواصل تعليمه .

٧ - العودة الى وارسو

وعملت ماريا كمربية أطفال لمدة ثلاث سنوات متوالية ٠٠ وكانت سنوات طويلة بالنسبة لها ، لأنها كانت تشعر وكأنها فقدت الامل في مستقبلها ٠ ولكن بعض الاحداث الصغيرة التي حدثت في كل من وارسو وباريس غيرت مجرى حياتها ٠

ترك أبوها مهنة التدريس التي كانت تدر عليه دخلا متواضعا ، والتحق بوظيفة أخرى تدر عليه دخلا أكبر ٠ وأصبح بالتالى قادرا على ارسال مبلغ أكبر لابنته التي تتعلم الطب في باريس ، والتي أوشكت

الآن على الانتهاء من دراستها التي استمرت خمس سنوات .

وغادرت ماريا المنطقة الريفية التي كانت تعمل فيها كمربية أطفال، وعادت لتعيش مع أبيها في وارسو .
والتحقت على الفور « بالجامعة العائنة » وبدأت دراستها « السرية » في هذه الجامعة لعلوم الطبيعة .

وحين كانت تجرى التجارب العلمية في تلك الدراسة السرية ، شعرت ماريا بأن المستقبل قد بدأ يفتح أمامها . . . وأنها عثرت أخيرا على الخيط الذي يؤدي الى بداية طريقها في بحار العلم الواسعة .

وفي يوم ما استلمت خطابا مرسلا من أختها برونيا . . . وكان الخطاب يحمل أخبارا سعيدة مفرحة .
لقد تزوجت الأخت برونيا ، وأصبحت لا تحتاج أية نقود من ماريا أو من أبيها . . . وبالإضافة الى ذلك فإن برونيا تدعوها للمقدم الى باريس لكي تبدأ دراستها ، وأن تعيش معها ومع زوجها حتى تنتهى برونيا من امتحاناتها النهائية وتحصل على شهادة الطب . . . !

احتارت ماريا فيما تفعله ازاء هذه الدعوة وهذه
الظروف الجديدة . . ولكنها فى النهاية أحصت ما
ادخرته من نقود . . وأعطاهما والدها نقودا اضافية .
وبدأت تستعد للذهاب الى حيث سيتحدد مستقبلها . .

٨ - الرحيل الى باريس

وفي خريف عام ١٨٩١ ، بلغت ماريا سن الرابعة والعشرين ٠٠ وعلى رصيف القطار بمحطة السكك الحديدية الرئيسية في وارسو ٠٠ وقفت ماريا لتقول وداعا لوالدها : « لن أنغيب عنك كثيرا ٠٠ مجرد عامين أو ثلاثة أعوام حتى أنتهي من دراستي وأجتاز امتحاناتي بنجاح ٠٠ وعندئذ سأعود اليك فورا ٠٠ ولن تفترق الأسرة بعد ذلك أبدا ٠٠ ! » .

وقال الأب والدموع تترقرق في عينيه :
- نعم يا صغيرتي العزيزة ٠٠ عودي فورا بسـ

الانتهاء من دراستك .. وعليك أن تعمل بكل جهتك ..
وأتمنى لك حظا سعيدا !

وركبت ماريا عربة صغيرة صندوقية الشكل ملحقه
بآخر عربات القطار ، لأنها لم تدفع الا أجرا قليلا حتى
تجد مقعدا غير مريح فى تلك العربة .

وانطلق بها القطار الى باريس عبر ألمانيا ..
باريس حيث توجد أختها بروني .. وحيث ستحدد
أهداف حياتها .. ولم تكن تعلم حين كان القطار
منطلقا فى هذا الطريق لطويل ، أنها كانت فى الوقت
نفسه تعبر خارجه من فلول الظلام الى الاضواء الساطعة
.. وأنها بدأت الآن أولى خطواتها فى أن تصبح من
النساء الشهيرات فى العالم !

وبعد أسابيع قليلة من وصولها الى باريس
أصبحت ماريا سكلودوفسكا .. تلك الفتاة البولندية
التي ترتدى ملابس فقيرة .. طالبة « علوم » فى أشهر
جامعة فرنسية .. وقيدتها الجامعة باسم « ماري
سكلودوفسكا » .

٩ - بيتها فى باريس

لم تستطع « ماري » أن تواصل الحياة فى بيت اختها برونيا وزوجها ٠٠ فقد كان البيت يقع فى منطقة بعيدة عن الجامعة ٠٠ وكانت تضيع وقتا طويلا فى الذهاب والاياب ، وهى التى كانت لا تريد أن تقضى دقيقة واحدة بعيدة عن كتبها ودراساتها .

وهكذا استأجرت حجرة صغيرة فى أعلى بيت منواضع ٠٠ ولم يكن بتلك الحجرة الا نافذة صغيرة بسقفها المائل يتسلل منها ضوء النهار ٠٠ ولم يكن فيها من الأثاث الا سرير صغير ، ومقعد واحد ، ومنضدة ،

وحوض صغير للغسيل والاستحمام ، وموقد صغير للطبخ ، ومصباح صغير يضاء بالزيت .

ولم تكن تنفق من النقود الا فى تسديد ايجار تلك الحجرة وشراء اقل قدر ممكن من الطعام ، وشراء كل ما تحتاجه من الكتب ودفع مصاريف الدراسة . وظلت فترة طويلة لا ترتدى الا الملابس المتواضعة التى جاءت بها من بولندا .

وانصرفت مارى بكل كيانها الى العلم والدراسة ، لدرجة كانت تبدو معها وكأنها فقدت احساسها بالجوع او احساسها ببرد الشتاء !

وبالرغم من برودة ليالى الشتاء القارسة ، كانت مارى لا تستطيع شراء بعض الفحم لتدفئة حجرتها . . . بل وكانت تنسى فى احيان كثيرة أن توقد الموقد الصغير لعله يوفر لها بعض الدفء . . . وذلك لشدة انغماسها فى الدراسة والمذاكرة ، ورغبة منها فى عدم تضييع ولو دقيقة واحدة بعيدة عن كتبها .

وكانت تواصل المذاكرة دون أن تشعر بأن أصابعها

قد أوشكت على التجرد . وأن كنفها ترعشان من شدة
البرد . . ربما كان بعض الحساء الساحن يمنحها بعضا
من الدفء والقدرة على التحمل . ولكنها لا تعرف كيف
تصنع الحساء . . بن وحنى أن كانت نعرف كيف
تصنعه فإنه سيكلفها نفودا هي في أشد الحاجة إليها ،
فضلا عن أن إعداد الحساء سيتطلب وقتا تحتاجه
لمواصلة الدراسة والمذاكرة .

وكانت تقضى أياما وأياما لا تتناول فيها من الطعام
شيئا سوى قطع من الخبز والزبد وبعض أكواب الشاي
. . وحين كانت تريد أن تقيم لنفسها وليمة ، كانت
تشتري بيضتين ، أو بعض الحلوى أو الفاكهة . .

وبطبيعة الحال ، فإن هذه المنادير القليلة البسيطة
من الطعام ، لم تكن تكفيها أو تساعد على مواصلة
جهودها المضنية التي كانت تبذلها في الدراسة . . لذلك
فقد أصيبت بالضعف والهزال . . وفي بعض الأحيان
كانت تتماسك بصعوبة حتى تصل إلى سريرها الصغير
وترتمي مغشيا عليها من شدة التعب .

١٠ - الجوع

وفى يوم ما ، سقطت ماري مغشياً عليها أمام
احدى صديقاتها التى أسرعت بإبلاغ زوج أختها الذى
كان يعمل طبيباً . . وانطلق الطبيب الى ماري بأقصى
سرعة لينقذها مما هى فيه . . وصعد درجات السلالم
عدوا حتى وصل الى تلك الغرفة العلوية الصغيرة التى
ترقد فيها ماري وهى تعاني حالة من الاعياء بحيث
أصبحت لا تقدر على الحركة .

نظر الطبيب حوله الى محتويات الغرفة من الأثاث
الفقر . . ولا حظ عدم وجود أى طعام أو شئ يؤكل ،

عدا باكو صغير من الشاي نصف ممثلي .. فسالها
وهو لا يكاد يصدق ما يرى :

— ماذا أكلت اليوم .. ؟

فقالت بصوت ضعيف :

— لا أدري .. لقد أكلت شيئا منذ وقت
مضى .. !

— ما هو بالضبط .. ماذا أكلت بالضبط

— احدى نمار الفاكهة .. و .. وأشياء أخرى !

وعاود زوج أختها الطبيب سؤالها مرة أخرى
حتى عرف منها أنها لم تتناول من الطعام شيئا منذ
مساء اليوم السابق الا ثمرة فاكهة وقليلًا من الخضراوات
غير المطبوخة .. وأنها ظلت تواصل العمل والمذاكرة
حتى الساعة الثالثة بعد منتصف الليل ، ولم تنم سوى
أربع ساعات فقط ، انطلقت على أثرها الى الجامعة
لسماع محاضراتها وأداء دروسها العملية .. وعندما
عادت الى حجرتها لم تجد فيها شيئا يؤكل .. ومع ذلك

فقد بدأت فى مذاكرة دروسها الى أن سقطت مغشياً عليها .

وانتقلت مارى الى بيت أختها برونيا لتعيش معها بضعة أيام قليلة حتى تستعيد صحتها . . وتناولت هناك من الطعام ما يقيم أودها وما يحتاجه جسمها الهزيل من تغذية .

ولكنها كانت مع ذلك حزينة وغير سعيدة لانقطاعها عن المذاكرة والذهاب الى الجامعة . . لذلك أصرت على العودة الى حجرتها الصغيرة القريبة من الجامعة . وسرعان ما انغمست فى الدراسة مرة أخرى .

وبالرغم من كل هذا العناء الذى كانت تواجهه مارى فى حياتها فى تلك الفترة ، الا أنها كانت تشعر بالسعادة . . بل وكانت تقول ان فى امكان كل انسان أن يشعر بالسعادة حتى ولو لم يكن معه ما يحتاجه من نقود أو ما يكفيه من طعام . .

كانت ترى أن السعادة كامنة فى الانغماس فى

العمل .. وحين كانت تواصل عملها في حجرتها
المتواضعة الصغيرة طوال الليل .. كانت تنسى كل شيء
الا العلم ، والعلم وحده .. وفي بعض الأحيان كانت
تتصور نفسها زميلة لكبار العلماء الذين عاشسوا في
الماضي .. والذين كانت تعرف عنهم أنهم كانوا مثلها ..
منصرفين الى العلم بكل كيانهم .. وانهم كانوا أيضا
منفصلين عما كان يدور حولهم من شئون حياتهم
الشخصية .. وأن اهتمامهم كله كان منصرا في العلم
والبحث والمعرفة .

١١ - البرد

وكانت ليالى باريس قارسية البرودة فى فصل الشتاء ٠٠ وكانت الحجرة العلوية التى تعيش فيها باردة جدا لدرجة تمنعها من النوم ٠٠ وكيف كان يمكنها أن تنام وكل شيء حولها بارد الى درجة التجمد ٠٠

وعندما كانت تعجز عن شراء بعض الفحم للتدفئة، كانت تواسى نفسها بأنها فتاة بولندية ٠٠ والشتاء فى وطنها بولندا أشد قسوة من شتاء باريس ، ولذلك فمن الواجب عليها أن تتحمل ٠٠

ولكن البرد كان أشد قسوة وأقوى من ارادتها

الحديدية ٠٠ ومع ذلك فقد حاولت أن تواجهه بكل ما يخطر على بالها من حيل ٠٠ فكانت عندما تتأهب للنوم ، ترتدى أكبر عدد ممكن من ثيابها ، وننطى نفسها بكل ما تبقى لديها من ثياب أخرى .

ومع ذلك ففد كان البرد يشتد مع مرور كل لحظة ٠٠ فماذا فعلت حتى تواجه هذا الموقف ؟ ٠٠ لقد مدت يدها من تحت الأغشية ، وسحبت المقعد الوحيد الموجود فى حجرتها ، ووضعت فوق الأغشية ، لعل ثقل المقعد فوق جسدها المرتعش ، يتيح لها بعض الدفء !

وكانت ماري تظل راقدة بهذا الوضع دون أية حركة ، خوفا من اهتزاز المقعد أو سقوطه ، فتفقد الدفء وتعرض الى البرد من جديد !

وهكذا تظل مستيقظة من سدة البرد الذى يمنعها من الاستغراق فى النوم ٠٠ وتظل عينها مفتوحة وسمى ترى على ضوء المصباح الخافت ، زجاجة الماء التى تشرب منها ، وقد تجمد الماء فيها وأصبح ثلجا !

١٢ - زواجها

كانت تواصل دراستها ليلا ونهارا ٠٠ حتى تتمكن من اعادة اللغة الفرنسية اعادة تامة ، كتابة وقراءة ٠٠ وحتى يمكنها بالتالى من مواصلة دراسنها للعلوم حيث تلقى المحاضرات النظرية والعملية باللغة الفرنسية ، وحيث الكتب العلمية مكتوبة أيضا بتلك اللغة ٠٠ كما كانت تهووس دائما على اجراء تجاربها العلمية بمعامل الجامعة .

وكانت متعتها الوحيدة ، حين كانت تركب احدى الدراجات وتتبع بها صوبم الريف ، حيث الخضرة

رجال عظام .. ونساء عظيمات ٢٢٥

والزهور والأشجار والفضاء الرحيب . وعندئذ كانت
تحس أنها أصبحت فى غنى عن أى شىء آخر . وبالرغم
من شبابها فقد كانت لا تشعر بأية رغبة فى الحب . .
خصوصا بعد تجربتها الأولى . . وكانت تجربة مريرة
كما رأينا .

لذلك فقد اندهشت مارى كثيرا حين لاحظت أنها
بدأت تهتم كثيرا بزميل لها يدعى « بيز كورى »
. وكان عالما فرنسيا يقضى معظم أوقاتة فى اجراء
التجارب العلمية بمعامل الجامعة .

وربط بينهما العمل فى المعامل برباط وثيق . .
بدأ باحترام كل منهما للآخر ، ثم اعجابه ، ثم صداقته ،
ثم الوقوع فى حبه عميق جعلهما يشعران بأن كلا منهما
لا يستطيع أن يستغنى عن الآخر . .

وفى عام ١٨٩٥ تزوجا . . وبعد الزواج مباشرة
تركا باريس وذهبا الى الريف ليقضيا هناك أياما قليلة
. . وكانا سعيدين غاية السعادة ، خصوصا حين كانا
يتجولان بين الدروب الضيقة التى تفصل بين الحقول

٠٠ وحين كانا يتجولان بين أشجار الغابة ٠٠ وكان
المحدث بينهما متصلا لساعات وساعات طويلة ٠٠
يتناقشان في العلوم ٠٠ وفي التجارب العملية ٠٠ وفي
الكيفية الصحيحة التي تمكنهما من خدمة العلم بكل
طريقة ممكنة ٠٠ وكانا يحلمان بأن يكون لديهما معمل
خاص يجريان فيه تجاربهما ٠٠

وسرعان ما عادا الى باريس مرة أخرى ليواصل
العمل معا ٠٠

١٣ - البيت الجديد

ولكن الزواج ألقى على عاتقها الكثير من الواجبات والمسئوليات . . لقد سكنت الآن فى شقة كبيرة مكونة من ثلاث حجرات ، بأعلى أحد البيوت وتطل على حديقة . .

ولم تكن الشقة مجهزة بأثاث أكثر من حاجتهما الأساسية . وإذا جازف أحد الأصدقاء بزيارتهما ، فقد كان عليه أولاً أن يتحمل تعب الصعود فوق تلك الدرجات العديدة . ولن يجد لديهما إلا رفوفاً تراصت فيها الكتب والمراجع ، ومنضدة ومقعدين اثنين فقط

يجلس عليهما الزوجان المنصرفان كلية الى الدراسة
والمذاكرة .

ولآن أصبح على مدام كورى أن تعد وجبات
الطعام . . . وحين كانت تعيش وحدها ، لم تكن تهتم
بهذا الموضوع . . . ولكنها الآن أصبحت ربة بيت وعليها
اعداد الطعام لنفسها ولزوجها . . . وهكذا تعلمت كيف
تصنع الحساء . . . وكيف تطبخ بعض الخضراوات التى
تستيقظ مبكرة حتى تذهب لتشتريها من السوق وكان
يجب عليها أن تطبخها بطريقة سهلة لا تضيع كثيرا
من وقتها . . .

وكان الزوجان يقضيان فى المعمل نحو ثمانى
ساعات يوميا ، ومع ذلك فقد كانا يشعران أن هذا
الوقت غير كاف لمواصلة اجراء تجاربهما . . . وحين كانا
يعودان الى البيت كانا يجلسان الى طرفى المنضدة ،
وبينهما مصباح يعمل بالزيت ويشنع نورا خافتا ولكنه
يكفيهما لمواصلة القراءة . . . وحتى الساعة الثانية أو
الثالثة بعد منتصف الليل ، لا يسمع فى حجرتهما أى
صوت سوى صرير القلم وهو يكتب على الورق ، أو

حليف صفحات الكتب حين يقلب أحد الزوجين صفحات كتابه بعد أن يقرأها لينتقل الى صفحات أخرى .

وبعد نحو سنتين رزق الزوجان باول أطفالهما . .
وكانت بنتا سمياها « ايرين » . . وقد حصلت هذه
البنت فيما بعد على جائزة نوبل ! . .

وازدادت واجبات ومسئوليات مدام كوري بعد أن
أصبحت أما . . ولكنها مع ذلك واصلت دراساتها
وأبحاثها العلمية بروح متفائلة وسعيية .

١٤ - فى المعمل

فى البيت ، كانت الأم مارى كورى تقوم بكافة واجباتها نحو ابنتها الوليدة ونحو زوجها ٠٠ وفى المعمل ، كانت العالمة مارى كورى تواصل تجاربها العلمية بمنتهى النشاط ، حيث أدركت أنها أصبحت على مشارف اكتشاف علمى جديد لم يسبقها اليه أحد من علماء العالم .

ومنذ سنوات قليلة سابقة على هذا التاريخ كان أحد العلماء قد اكتشف مادة جديدة اسمها « اليورانيوم » وقال ان هذه المادة يصدر منها نوع من

الاشعاع (الذى سمته مدام كورى فيما بعد باسم
النشاط الاشعاعى) .

ولكن كيف يصدر النشاط الاشعاعى من تلك
المادة . . وما هو شكله . . وما هى آثاره . . ؟ !

هذا هو السر الذى كانت مدام كورى تسعى
لاكتشافه . . وكانت من أجله تجرى التجارب تلو
التجارب . . تنجح فى مرة وتفشل فى مرات . . ثم
تنجح فى احدى المرات ، ولكن النجاح يزيده السر
انغلاقا ، ويتطلب اجراء عشرات من التجارب العلمية
الأخرى .

وهكذا ظلت مدام كورى تواصل أبحاثها وهى
تشعر فى قرارة نفسها أنها على وشك أن تكتشف
هذا النشاط الاشعاعى المجهول . .

وكانت مارى كورى قد كتبت قبل ذلك بمدة طويلة
تقول : « ان الحياة ليست سهلة . . ويجب أن نعمل
بكل همة ، وأن نشق فى قدراتنا وفى أنفسنا ثقة كاملة
. ويجب أن نؤمن بأن كل واحد منا قادر على اجادة

العمل الى أقصى حد . . وعندما نكتشف سر هذا الشيء
الذى نبحث عنه ، نكون قد نجحنا في اداء عمل
نافع . .

وهذا الشيء الذى كانت تبحث عنه مدام كورى ،
كان شيئا جديدا بالفعل . . أدى الى أن يفتح أمام
العلم آفاقا جديدة واسعة . .

١٥ - الزوجان يعملان معا

فى تلك الفترة ترك الزوج جميع أبحاثه وتجاربته العملية ، وانضم الى زوجته ليعاونها فى البحث عن ذلك الاشعاع المجهول . ومنذ ذلك الوقت كانا يكسبان فى تقاريرهما العلمية : « لقد عملنا كذا » أو « قام أحدهما بعمل كذا »

وفى عام ١٨٩٨ أعلنوا أن هناك شيئا فى الطبيعة يسمى « النشاط الاشعاعى » . يصدر عن مادة مازالت مجهولة أطلقا عليها اسم « راديوم » .

ولكن هذا الكشف الجدير الذى أعلن عنه

الزوجان كان على عكس المعلومات التي كانت سائدة بين علماء تلك الفترة . لذلك أنصت العلماء جيدا الى ما أعلنه الزوجان ، ولكنهم لم يصدقوا شيئا مما قالاه . .

وقال بعض العلماء المنصفين : « اذا كنتما تريدان اقناعنا حقا بما تقولاه وأعلنتماه . . فينجب عليكما أن تريانا بعض هذا الراديوم الذى تقولان بوجوده ! » .

وهكذا أصبح على الزوجين الآن أن يقضيا سنوات طويلة فى البحث العلمى حتى يتمكننا من تحضير هذا الراديوم ، ويشبنا صحة نظريتهما الجديدة .

وكان هناك مبنى صغير يقع خلف المدرسة التى كان يعمل بها الزوج . وكانت جدران هذا المبنى وستفه مصنوعة من الخشب وبعض ألواح الزجاج . ولا يوجد به من الأثاث سوى بعض المناضد القديمة ، وسبورة ، وموقد قديم . . كما أن المبنى نفسه لم يكن أفضل من كوخ قديم لا يرغب فيه أحد ، ولا يعرف أحد كيف يمكن الاستفادة منه . .

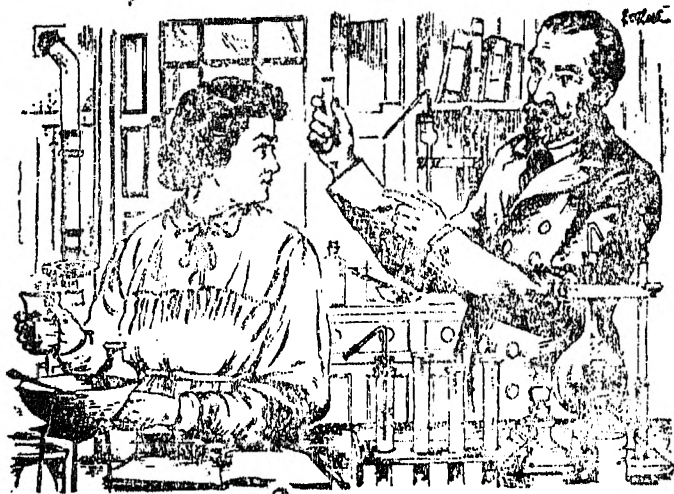
واتخذ الزوجان من هذا المبنى معملا يجريان فيه
تجاربهما العلمية لمدة أربع سنوات طويلة مضية ،
لم يضيعا فيها لحظة واحدة ٠٠ كانا يعملان طوال النهار
وجزا كبيرا من الليل ٠٠ يستعملان الميزان الدقيق فى
وزن بعض المواد ٠٠ ويقومان بإذابة بعض المواد ٠٠
ثم يجريان الكثير من الحسابات والمعادلات ٠ ويعيدان
هذه الكرة مرات ومرات ومرات ٠٠

كانا يؤمنان بوجود الراديووم ٠٠ ولكن أين ٠٠
وكيف يحصلان عليه ٠٠ ١٩

هل سيستطيعان فى يوم ما الوصول الى هذا
السر العظيم ٠٠ ١٩

هذا الأمل كان يدفعهما الى تحمل مواصلة العمل
الشاق فى ذلك المعمل ٠٠ الحار صيفا البارد شتاء ٠٠
والذى تتساقط من سقفه المياه كلما أمطرت السماء ٠

وبالرغم من هذا العمل الشاق الذى استمر لأربع
سنوات متوالية ، كان الزوجان يعتبران هذه السنوات
من أسعد فترات حياتهما ٠٠



• ماری وبیر کوری فی معملهما •

وفلا يعملان يوما وراء يوم ٠٠ وأسبوعا وراء
أسبوع ٠٠ وشهرا بعد شهر ٠٠ وعاما بعد عام ٠٠
حتى أصبحا قريبين تماما من ذلك الاكتشاف العلمى
العظيم .

١٦ - النجاح

وقى مساء أحد الأيام فى عام ١٩٠٢ ، كان الزوجان قد غادرا معملهما منذ نحو ساعتين ، وتوجها الى البيت . . وبينما كانا جالسين . . نهضت ماري كورى من مقعدها وقالت لزوجها :

— فلنذهب الآن الى المعمل . . ولو للحظة واحدة . . !

وارتديا ملابس الخروج . . وغادرا البيت الساعة التاسعة مساء . . واتجها عبر الشوارع الى حيث يوجد

المعمل ٠٠ وأولج الزوج المفتاح فى قفل الباب فانفتح
٠٠ وهنا قالت له زوجته :

— لا تضىء المصباح ! ٠٠ أنظر ماذا ترى ٠٠ !!

كان هناك ضوء أزرق خافت يشع من بعض
أبواب الاختبار الموضوعة على بعض المناضد ٠٠ لقد
وصل الزوجان أخيرا الى السر الذى كانا يبحثان عنه
كل هذه السنوات الطويلة ٠٠ الراديو !!

١٧ - شهرة لايرغبان فيها

بمجرد اعلان نبأ اكتشاف الراد يوم ٠٠ ذاعت شهرة الزوجين باعتبارهما من كبار العلماء الذين أماطوا اللثام عن أسرار الطبيعة ٠٠

ولكن الزوجين لم يتمتعا بهذه الشهرة لأنهما لا يرغبان فيها. ولا يسعيان الى تحقيق الأمجاد الشخصية ٠٠ كانا يريدان أن يواصلتا سعيهما الى مزيد من الاكتشافات الجديدة ٠٠ وكانا ينمنيان أن تهين لهما أية جهة معمل مناسبة مجهزا بجميع الأدوات والمواد والمستلزمات العلمية التي تساعد علي اجراء المزيد من

التجارب .. وأن يتركهما الناس ليواصلوا حياتهما
العلمية في سلام وهدوء ..
فهل تحقق لهما هذا الأمل .. ؟!

في كل يوم تقريبا ، كانا يتلقيان دعوات الى
حضور المآدب الكبيرة .. والاجتماعات الهامة .. وطلبت
منهما الصحافة أن يكتبوا مقالات لنشرها في الجرائد
والمجلات .. كما طلبت منهما الكثير من الجمعيات
والهيئات أن يلقيا الأحاديث والمحاضرات في اجتماعات
عامة .. بل وجاء الصحفيون الى بيتهما ليكتبوا عنهما
الأحاديث وليأخذوا لهما الصور الفوتوجرافية .. بل
وليصوروا أيضا ابنتهما الصغيرة وكل شيء آخر بالبيت
حتى القطعة الأليفة .. وليعرفوا رأيهما في أشياء
عديدة مختلفة ..

وكان الزوجان يعتبران ان تلك الشهرة العريضة
نوع من المضايقات وتجربة مؤلة يودان أن يهربا منها .
وكانت مدام كورى لا تحب ولا ترغب في أن
تحيط نفسها بهالة من الضوء .. وظلت لسنوات طويلة

حين كانت تسير فى الشوارع مثلا ويسألها بعض
الناس :

ـ ألسيت أنت مدام كورى ؟ !

كانت تجيب هؤلاء بصوت بارد ممزوج بالخوف :
ـ لا .. نكل أسف !!

١٨ - المعامل والمجوهرات

وتبين لنا الحادثة الطريفة التالية حقيقة الاهتمامات
التي كانت تدور دائما فى ذهنى هذين الزوجين . .
فبعد نحو عام من اعلان اكتشافهما العلمى الكبير دعيا
الى الحضور الى انجلترا للتعيش مع أكبر وأشهر
العلماء الانجليز .

وقام مسيو بيير كورى بالقاء محاضرة علمية
ضافية أمام حشد كبير من هؤلاء العلماء . . وبعد
انتهاء المحاضرة ، أقيمت للزوجين مأدبة ضخمة حضرها
العلماء وكبار أعضاء الأوساط العلمية ومعهم زوجاتهم .

وكانت جميع السيدات اللاني حضرن هذا الحفل
المتألق يرتدين أفخر السياب . ويتحلين بأغلى وأثمن
أنواع الحلى والمجوهرات . . وكانت ماري كوري تنظر
الى تلك المجوهرات الثمينة باعجاب شديد . . ولكن
الذى أثار دهشتها أكثر حين رأت زوجها - الذى لا يهتم
اطلاقا بالحلى ولا المجوهرات - يتطلع بدوره الى تلك
المجوهرات باعجاب شديد مماثل لاعجابها . . !

وحين انفرد الزوجان ببعضهما بعد انتهاء الحفل،
قالت مدام كوري لزوجها :

- ببيير . . لم أكن أتصور أن توجد مثل هذه
المجوهرات فى العالم . . يالها من مجوهرات رائعة . . !
فضحك الزوج وقال :

- نصورى . . كنت أنظر فعلا الى كل هذه
المجوهرات باعجاب شديد . . ثم تحول هذا الاعجاب
الى فكرة طريفة شغلت تفكيرى طوال الحفل . . أخذت
أحسب الثمن التقديرى لكل هذه الحلى والمجوهرات
قطعة قطعة . . ثم بدأت أجمع اجمالى أثمان هذه القطع

كلها وأتخيل في الوقت نفسه كم من المعامل العظيمة
يمكن اقامتها لخدمة العلم بثمرن هذه المجوهرات !!

١٩ - جائزة نوبل

وفي نفس العام ، منح الزوجان جائزة نوبل للعلوم الطبيعية . ولكنهما لم يستطيعا السفر الى السويد لاستلام الجائزة بسبب انهماكهما الشديد في لقاء المحاضرات وفي اجراء التجارب العلمية بمعملهما . . . وعندما ارسلت اليهما قيمة الجائزة ، كانت مبلغا كبيرا من المال ، ساعدهما في التفرغ تماما للبحث العلمي .

ثم حدث بعد ذلك اكتشاف مثير آخر ، فقد تبين ان الراديو بصلح علاجاً لمرض من أخطر الأمراض التي

تصيب البشر ، وهو مرض السرطان .. ولكن المشكلة
هى أن انتاج الراديوم يحتاج الى أموال طائلة " بل ان
فكرة انتاج الراديوم نفسها تستحق مكافأة كبيرة يجب
أن يحصل عليها الزوجان .

وفى صباح أحد الأيام ، قال بير كورى لزوجته
وهو يمسك فى يده خطابا وصله من أمريكا :

- دعينا نتحدث قليلا عن قيمة الراديوم الذى
اكتشفناه .. فمن المؤكد أن العالم كله سيحتاج اليه ..
وقد وصلنا هذا الخطاب من أمريكا يدعوننا فيه للذهاب
الى هناك لمعاونتهم فى انتاج الراديوم بكميات كبيرة ،
ويعدوننا بمبلغ كبير من المال .. وعلينا الآن أن نقرر
ما سوف نفعله .. هل نحتفظ بسر انتاج الراديوم
لأنفسنا ولا نبيعه الا مقابل ثروة كبيرة طائلة .. أو
نعلن هذا السر على الملأ بلا مقابل كما يفعل العلماء
الذين وهبوا أنفسهم للعلم .. وأنت تعرفين بلا شك
أننا نعيش حياة بسيطة متواضعة .. وأصبحت لدينا
ابنة لها كثير من الاحتياجات .. وربما سيكون لدينا

أطفال آخرون فى المستقبل ٠٠ ان المبالغ الكبيرة التى
يمكننا الحصول عليها ستوفر لنا حياة فيما قدير كبير
من الراحة ، كما ستساعدنا أيضا فى انشاء معص
علمى كبير ومجهز بكل ما نحتاجه من مواد ومعدات
وأجهزة ٠٠ !

٢٠ - القرار الحاسم

لم تفكر مدام كررى كثيرا في هذا الموضوع ، بل كانت اجابتها جاهزة . ٠ فما أن انتهت زوجها من كلامه حتى قالت في حزم :

- ان واجب العلماء أن يعطوا اكتشافاتهم للعالم . حتى رلو كانت أسرار هذه الاكتشافات تساوى أمرا لا طائلة . ٠٠ اننا لا يمكن أن نبيع أو نتاجر في سر اكتشافنا . ٠٠ ان ذلك سيكون ضد الروح العلمية !

وحل صمت قصير ٠٠ ثم ردد بيير كورى كلام
زوجته بهدوء وصدق :

- حقا ٠٠ ان ذلك سيكون ضد الروح العلمية !

وبعد نحو ربع ساعة من هذا الحديث وما انتهى
به من قرار حاسم ٠٠ ركب الزوجان دراجتيهما ،
واتجها الى منطقة ريفية بخارج المدينة ، وعادا فى آخر
النهار متعبين ، ومعهما مجموعة كبيرة منعددة الألوان
من الزهور وأوراق الشجر

٢١ - الشهرة والأطفال

كانت الشهرة نسب للزوجين كثيرا من
المضايقات . لأنهما كانا قد وهبا حيانهما للمعلم ،
وأصبحا لا يهتمان بأية شهرة أو تكريم لشخصيتهما .

وفي إحدى المرات سألها أحد الصحفيين عن
نفسيا وأفكارها ومعتقداتها . فاجابته اجابة صريحة
مختصرة :

-- ان العلماء يهتمون بالاشياء والشئون العلمية
ولا يهتمون بأشخاصهم !

وفي مرة أخرى حين كانت مدام كورى مدعوة

الى حفل كبير ، جاءها أحد الأصدقاء وسألها عما اذا كانت تحب مقابلة ملك اليونان الذى كان حاضرا فى نفس الحفل .. فأجابت بنفس البساطة التى كانت تتميز بها اجاباتها :

— انى لا أرى أية قيمة لذلك ؛

ثم استطردت حين رأت أنها قد جرححت مشاعر صديقها بتلك الاجابة :

— ولكن .. ولكنى على استعداد أن أنزل ذلك لأجل خاطرک .. !

ومرت عدة شهور واصل فيها الزوجان احيائهما العلمية فى معملهما .. وأصبحت حياتهما مبهلة الى حد ما وخالية من المشاكل .. ثم رزقا بطفله نانية سميها « ايف » .. واضطرت مدام كورى أن تقدم أوقاتها بين ممارسة وظيفة الأم وربة البيت ، وممارسة واجباتها كعالمة كبيرة من أشهر العلماء ..

وطلبت الجامعة الفرنسية من ميسير بيير كورى

أن يقوم بتدريس علوم الطبيعة والقاء المحاضرات •
ولكنه رفض تلك الوظيفة بسبب عدم وجود معمل
للتجارب العلمية في تلك الجامعة •• وسببهم - إلى الرئى
إلا إذا قامت الحكومة ببناء هذا المعمل العلمى ونجهيزه
بكافة الاحتياجات •

وعندما اتسع نطاق الأبحاث العلمية فى عملهما
الخاص ، استعان الزوجان بثلاثة من المساعدين المساونة
فى أعمال المعمل ، يعملون تحت اشراف مباشر من
مدام كورى •

وتى هذا الجو العلمى الحافل بالتجارب والأبحاث
الدقيقة •• كان الزوجان مارى وبير كورى يواصلان
حياتهما السعيدة بكل كد وكل هدوء ••

٢٢ - موت بيمير كورى

وفى يوم ١٩ ابريل ١٩٠٦ ، بينما بيمير كورى يسير فى أحد شوارع باريس المزدحمة بالناس ، انزلقت قدماه فى مياه المطر فسقط على الأرض ، وداسمت عليه عجلات احدى العربات الثقيلة المسرعة ، فمات على الفور .. وهكذا انتهت حياة هذا العالم الكبير ..

كانت صدمة قاسية على زوجته وشريكته فى السلام والحياة .. وحزنت لدى سماعها النبأ حزنا هائلا حتى ظن بعض اصدقاء الأسرة أنها لن تفيق من هذا الحزن اطلاقا .

ولكن الحياة مع ذلك يجب أن تستمر ، خصوصا
وأنها قد أصبحت الآن مسئولة وحدها عن رعاية وتربية
الطفلتين الصغيرتين ، كما تضاعفت أيضا مسئوليتها
العلمية حيث أصبحت مسئولة عن مواصلة تجارب
زوجها وتكملة أبحاثه بالإضافة الى مسئوليتها عن
مواصلة تجاربها وأبحاثها الشخصية .

وفى خريف نفس العام ، صدر قرار من الجامعة
التي كان يعمل فيها زوجها الراحل . . وكان القرار
يتضمن سطورا قليلة ولكنها نبيلة المرمى وعميقة
المغزى . . كان القرار يتضمن تعيينها فى نفس وظيفة
الأستاذ التي كان يشغلها زوجها قبل موته . . وتضمن
القرار أيضا أن تقوم مارى كورى بالتدريس محاضراتها
على طلبة وطالبات الجامعة اعتبارا من يوم الاثنين القادم
الساعة الواحدة والنصف بعد الظهر . . !

وفى الموعد المحدد ، كانت قاعة المحاضرات فى
الجامعة قد امتلأت عن آخرها بحشد كبير من الجمهور
بالإضافة الى الطلبة والطالبات من تلاميذ زوجها . .

كان الجميع ينتظرون ما سوف تفعله تلك العالمة
وما سوف تقوله ..

ترى .. هل ستقوم بالثناء على زوجها الراحل
والثناء على أبحاثه العلمية ؟ .. هل ستشكر الجامعة
على قرار تعيينها فى نفس الوظيفة التى كان يشغلها
زوجها ؟ .. ان ذلك كان بطبيعة الحال أمرا متوقعا
لا يخالفها فيه أحد .. !

ولكنها دخلت بكل هدوء الى قاعة المحاضرات ،
وبصوت رصين بدأت فى القاء محاضراتها العلمية ، من
نفس النقطة التى توقف عندها زوجها فى آخر محاضرة
ألقاها قبل موته ..

وانهمرت دموع الحاضرين وهم يستمعون الى
محاضرة تلك السيدة العظيمة التى وهبت حياتها
للعلم ، تقديرا منهم لموقفها المتماسك النبيل ..
وعندما انتهت المحاضرة ، أسرع فى الخروج
بنفس الهدوء والتواضع ..

٢٣ - الحرب العالمية الأولى

واستمرت حياتها على هذا المنوال ٠٠ وفى عام ١٩١١ منحت جائزة نوبل مرة أخرى ٠٠ وفى عام ١٩١٤ تم انشاء المعهد العلمى الفرنسى الذى سيساعدها كثيرا على اجراء تجاربها وأبحاثها العلمية الجديدة .

ولكن الحرب العالمية الأولى نشبت فى عام ١٩١٤ ، وأصبحت فرنسا فى خطر حقيقى ٠٠ وحين اقترب هذا الخطر من مشارف باريس ، قامت مدام كورى بنقل كمية الراديووم التى يمتلكها المعمل ، وخبأتها فى مكان آمن خارج باريس كلها ، وأسرعت فى العودة بعد ذلك

الى باريس لتواصل أعمالا وجهودا استازمتها ظروف الحرب ..

وكان اكتشاف أشعة « اكس » واختراع الأجهزة الخاصة بتحضيرها قد تم منذ فترة بسيطة .. وبفضل مدام كورى ومعاونتها ، وضعت المئات من تلك الأجهزة فى مئات المستشفيات فى طول فرنسا وعرضها .. بل وجهزت بها أيضا بعض السيارات ليتمكن نقلها من مكان الى مكان حسب الحاجة ..

وقد أطلق على هذه السيارات اسم لطيف هو « سيارات كورى الصغيرة » .. وكثيرا ما كانت تشاهد مدام كورى وهى تقود إحدى هذه السيارات بنفسها ..

وقد قامت هذه الأجهزة بدور عظيم فى علاج عشرات ومئات الآلاف من الجرحى والمصابين بسبب المعارك الحربية .

وماذا يمكن أن نقوله أيضا عن تلك السيدة العالمة العظيمة .. ؟!

لقد أخذت تكبر في العمر وتزداد ضعفا ..
ولكنها مع ذلك ظلت محافظة على بذل جهودها العلمية
بكل نشاط وكل همة .

وفي سنة ١٩٢١ رحلت الى أمريكا .. وذلك على
اثر زيارة قامت بها احدى صديقاتها الأمريكيات الى
باريس ..

٢٤ - صديقتها الأمريكية

منذ سنوات طويلة ، أعجبت سيدة أمريكية اسمها « مسز ملونى » بكل ما كانت تسمعه أو تقرأه عن حياة العالمة المناضلة مدام كورى . و برغم بعد المسافة بين أمريكا وفرنسا . أصبحت مقابلة مدام كورى أهم أمانى تلك السيدة الأمريكية .

وكم كانت السيدة سعيدة حين قابلت مدام كورى فى معملها فى باريس ذات صباح . وقد قالت مسز ملونى تصف تلك المقابلة فيما بعد : « لقد رأيت سيدة ترتدى ملابس سوداء بسيطة مصنوعة من القطن .

وفى ملامحها رأيت أكبر حزن رأيت من قبل على وجه
انسان ! ، .

وحاولت مسز ملونى أن نشرح لمدام كورى مدى
اعجاب سيدات أمريكا بها وبقصّة كفاحها ونضالها فى
سبيل خدمة العلم والانسانية . . ومدى الفخر الذى
تحسه النساء الأمريكيات لأنّ واحدة من جنسهن
استطاعت أن تحقق كل هذه الانصارات العلمية .

ثم تطرق حديثهما بعد ذلك الى الزاديوم . .
وأخبرتها مدام كورى بأن كل كميات اليورانيوم
الموجودة فى أمريكا لا تزيد عن خمسين جراما فقط ،
وأخذت تذكر لها أسماء المدن الأمريكية التى توجد فيها
هذه الكميات من اليورانيوم . وسألتها مسز ملونى :

- وما هى كمية اليورانوبوم الموجودة فى فرنسا . . ؟
فأجابتها مدام كورى :

- فى معملى يوجد جرام واحد من اليورانيوم ١٠٠ !

- جرام واحد ؟! . . هل لا تملكين سوى هذا

الجرام الواحد من اليورانيوم ٠٠ ١؟

— أنا لا امتلك شيئاً ٠٠ بل هو ملك للمعمل
العلمي الذي أعمل فيه ٠٠ !

وعندئذ سألتها مسز ملونى سؤالاً قد يبدو غيبياً
فى ظاهره ولكنه يبدو فى غاية الأهمية بالنسبة لمعناه
ومغزاه :

— لو وضع كل ما فى هذا العالم تحت طلبك ٠٠
فماذا تختارين منه ٠٠ ١؟

وأجابت مدام كورى بلا تردد :

— لا أريد أكثر من جرام آخر من اليورانيوم
حتى أتمكن من توسيع دائرة تجاربي وأبحاثي
المعملية ٠٠ ولكننى لا أستطيع أن أشترى هذا الجرام ٠٠
لأننى لا أملك ثمنه ٠٠ !!

وحين عادت مسز ملونى الى أمريكا ، كانت قد
اختمرت فى ذهنها فكرة الدعوة الى عمل عام ٠٠ وأخذت
تلقى المحاضرات وتكتب الرسائل والمقالات تدعو فيها

الشعب الأمريكى نساء ورجالا الى مشاركتها فى تلك
الفكرة ٠٠

كانت مسز ملونى تقول ان مدام كبرى قد
اكتشفت الراديوم بعد جهد علمى جبار استمر لسنوات
طويلة ٠٠ وقد أهلت اكتشافها الى العالم والانسانية
بلا مقابل ٠٠ وهى تحتاج الآن الى جرام واحد من
الراديوم لكى تواصل تجاربها وأبحاثها لخدمة العلم
والتقدم ولكنها فقيرة لا تستطيع أن تشتري هذا
الجرام ٠٠ وأصبح الراديوم بفضلها يوجد فى أنحاء
كثيرة من العالم ٠٠ وان من واجب العالم الآن أن
يشترى لها جراما من اليورانيوم لتواصل به أبحاثها
التي ستهديها الى العالم مرة أخرى ٠٠ وهى لا تريد
هذا الجرام لنفسها ، وانما ليكون ملكا للمعمل العلمى
الذى تعمل فيه ٠٠

وفى خلال عام واحد ، استطاعت مسز ملونى أن
تجمع التبرعات من الشعب الأمريكى لشراء جرام
اليورانيوم المطلوب ٠٠

٢٥ - الرحلة الى أمريكا

وابحرت مدام كورى الى أمريكا مصطحبة معها ابنتيها ، لتتسلم جرام اليورانيوم المهدى اليها من الشعب الأمريكى . . وكانت رحلة طيبة ولكنها لم تنمتع بها . . فقد كانت فى الرابعة والخمسين من عمرها . ولم يعد لديها القوة التى تمكنها من تحمل عناء الرحلات التى كان يجب ان تقوم بها لزيارة الجامعات والمعامل والمناجم التى كانت تتنافس فى دعوتها لزيارتها .

ولم يكن لديها القوة التى تمكنها أيضا من اللقاء

المحاضرات أو تلبية كل الدعوات التى وجهت اليها
لتكريمها والاحتفاء بها .. ولهذا فقد كانت تنيب
ابنتيها فى حضور معظم هذه الدعوات .

وفى أكثر من مرة ، كانت ابنتها « ايف » التى
بلغت آنئذ ستة عشر عاما ، تتولى الحضور نيابة عن
أمها فى الحفلات التى كانت تقام لتكريمها .. وكانت
تجلس فى نفس المقعد الذى خصصه المحتفلون لأمها
وتسمع خطبا طويلة المدح لأمها والثناء عليها وعلى جهودها
الطويلة المضيئة لخدمة العلم والانسانية .

٢٦ - كيف قبلت هدية الشعب الأمريكى ؟

وكان أهم الاحتفالات التى أقيمت لتكريمها ،
تلك الحفلة العظيمة التى أقيمت فى واشنطن والتى
تولى فيها الرئيس الأمريكى اهداءها الراديو يوم باسم
الشعب الأمريكى كله . .

وقد اندهش الرئيس الأمريكى وعلية القوم وكبار
العلماء حين علموا بأن مدام كورى قد قامت باهداء
الراديو يوم قبل أن تتسلمه . . ففى اليوم السابق على
هذا الاحتفال ، حين علمت مدام كورى أن الراديو يوم

الذى سيهدى اليها سيكون ملكا لها ، وأن وثيقة الملكية
قد دونت على هذا الأساس . . طلبت تغيير الوثيقة
ليصبح هذا الراديو ملكا للعلم ولعملها الذى
سيخصصه لمزيد من التجارب والأبحاث العلمية .

وعندما قال لها المختصون ان ذلك يمكن أن يتم
بعد أن تتسلم الراديو من الرئيس ، رفضت مدام
كورى وأصرت على اخضرار أحد المحامين لتغيير وثيقة
الملكية . . وقالت :

— اذا أصبح هذا الراديو ملكى ، فمعنى ذلك
أنه سيصبح ارثا لابنتى بعد وفاتى . . ولهذا فلا يمكن
أن أنتظر تغيير الوثيقة بعد اسبوع ، أو حتى بعد يوم
واحد . . فمن يدري ربما أموت بعد ساعات معدودة . .
يجب تغيير الوثيقة حالا !!

وتم العثور بصعوبة على أحد المحامين الذى تولى
تغيير نص وثيقة الملكية ليصبح الراديو — الذى لم
تسلمه بعد — ملكا للمعمل العلمى فى باريس .

وهكذا انتهت الحفلات التي أقيمت لتكريمها
وانتهت كذلك زيارتها لأمريكا . . وعادت مدام كوري
وابنتها مرة أخرى إلى باريس .

٢٧ - سنواتها الأخيرة

ومرت السنوات ومدام كورى تعمل بنفس المهمة والنشاط ، ولكنها كانت تزداد ضعفا يوما بعد يوم . . وقامت بزيارات كثيرة الى بولندا . . وطنها الذى أحبه وخدمته . . كما قامت بزيارات عديدة لعائلتها ولأصدقائها القدامى .

وبالرغم من ضعف صحتها التى كانت تزداد سوءا باستمرار . . حققت المزيد من النجاح فى أبحاثها العلمية . . وكانت تقضى معظم أوقاتها فى عملها

بالمعهد العلمى بباريس ، حيث كان يحيط بها زملاؤها
وتلاميذها ومساعدوها الذين كانوا جميعا يحبونها أعظم
الحب ويقدرونها خير تقدير ، ويستمعون جيدا الى كل
ارشاداتها ونصائحها .

ولكن صحتها أصبحت تزداد سوءا وضعفا .
وكان كبار الأطباء يحيطون بها وهم فى حيرة شديدة
لعدم معرفتهم السبب الحقيقى لمرضها . . . لأنه مرض
لم يدرسوه فى الكليات ولم يعرفوا عنه شيئا من قبل . .

وأخيرا اكتشف الأطباء أن مرضها كان نتيجة
لتعرضها للمنشأط الاشعاعى الذى كان يصدر من
الراديوم الذى اكتشفته منذ سنوات طويلة ، والذى
حقق لها كل هذا الصيت والنجاح . . ولكنه كان فى
الوقت نفسه يدمر خلايا جسمها . .

وخلال ساعاتها الأخيرة كان ذهنها مازال متقدرا .
وظلت تتحدث عن العلم . . وعن العمل . . وعن
دراساتها وأبحاثها . . وعن الراديوم !

وفى الرابع من يوليو عام ١٩٣٤ مائت مدام
كورى ٠٠ !

ودفنت فى احتفال بسيط حضره أقرب المقربين
من أصدقائها وأعضاء أسرتهما ٠٠ وفى نفس القبر
الذى يرقد فيه زوجها ٠٠ وعلى شاهد هذا القبر كتب
سطر جديد بسيط :

« ماري كورى سكلودوفسكا ١٨٦٧ - ١٩٣٤ » .

٢٨ - هديتها للعالم وفضلها على العلم

منذ أن نجح الزوجان ماري وبير كوري في اكتشاف الراديوم ٠٠ حدثت اكتشافات علمية مذهلة نتيجة لهذا الاكتشاف العظيم ٠٠

لقد استخدم الراديوم في شفاء بعض الأمراض الخطيرة ٠٠ واستخدم في تحسين تنمية النباتات والحيوانات ٠

وبفضل مدام كوري تيسرت سبل البحث العلمي لدراسة الفضاء فيما وراء الشمس والنجوم ٠٠ ولدراسة قياس أعمار بعض المخلفات أو الأشياء التي

كانت موجودة منذ ملايين السنين .

حتى العلوم الذرية (سواء استخدمت لأجل الأعمال الحربية أو للأعمال السلمية) كانت نتيجة مبدئية للتجارب التي أجراها الزوجان كورى فى الكوخ الذى اتخذاه معملًا متواضعًا فى باريس ، وظلا يعملان به لأربع سنوات متواصلة من الجهد والكفاح العلمى المستمر .

وحين توفيت ماري كورى ، كتب أحد تلاميذها المخلصين : « لقد فقدنا كل شيء » .. واذا كان هذا هو شعوره بالحزن العميق حين فقد أستاذه ومعلمته .. فان العالم كله يقول الآن عندما يذكر هذه المرأة العالمة العظيمة : « لقد تركت لنا الكثير .. » وكسبنا منها الكثير .. لقد بذلت حياتها كلها من أجل العلم .. ومن أجل التقدم » .. !!

ألبرت شفايتزر

فى وسط افريقيا . . ومنذ مدة ليست ببعدة . .
عاش أحد الأطباء العظام . . وكان عمره قد تجاوز
الثمانين عاما قضى معظمها فى العمل وسط أهالى
افريقيا .

كان هذا الطبيب يعتبر افريقيا وطنه الثانى . .
وقد عاش حياة عظيمة غير عادية ، تستهوى قصنها
الملايين من الناس من كل جنس وكل دين ، وفى جميع
أنحاء العالم .

ومما لا شك فيه أن عظماء الرجال يعتبرون ملكا
للعالم أجمع ، وكان ألبرت شفايتزر أحد هؤلاء الرجال
العظام الذين يفخر بهم العالم .

وحتى نتفهم أسرار تلك الحياة العظيمة التى
عاشها ، فإن علينا أن نتتبع جميع مراحل حياته ،
ابتداء بأيام طفولته . .



١ - العراق

كانت فترة العصر دافئة في أحد أيام الحريف
في قرية صغيرة تسمى « جونزباخ » تقع في منطقة
« الألزاس » ..

وكل القرية تبدو هادئة كما لو كانت قد استغرقت
في النوم .. وفجأة دقت أجراس الكنيسة أربع دقائق ..
أعقبها رنين جرس المدرسة معلنا انتهاء اليوم
الدراسي .. فوضع التلاميذ الكتب المدرسية داخل
الأدراج وتهيأوا للانصراف عائدين الى منازلهم ، محدثين
جلبة عالية من وقع أحذيتهم « الحشبية » على أرض
الفصل ..

وبعد خروج التلاميذ من مبنى المدرسة ، حدث
نقاش بين تلميذين .. قال التلميذ الأكبر طولا :

— أنت لا تجسر على الدخول معى فى مباراة
يا ألبرت شفايتزر .. أنا أقوى منك بكثير ..
وأستطيع بسهولة أن ألقى بك أرضا فى أى وقت
أشاء .. !

فقال التلميذ الأصغر :

— هذا ما تظنه فى نفسك .. مجرد كلام ..
ولكنك لا تستطيع فعل ذلك يا جورج .. !

وقال جورج :

— لا .. انى أستطيع !

فقال ألبرت :

— اذن .. دعنا نجرب !!

واختار الصبيان المتنافسان ساحة المعركة
المنتظرة ، على أرض ناعمة مستوية بأحد الحقول

واستعد كل منهما للانقضاض على الآخر . . وفى لحظة خاطفة بدأت المعركة . .

هجم جورج أولا وأحاط بذراعيه حول وسط البرت ، وبدأ يضغط ليلقيه أرضا . . ولكن البرت بدأ يقاوم بشدة . . واستخدم المتصارعان كل ما لديهما من قوة ، وبدأ يلبثان وتقطعت أنفاسهما . .

وفجأة تمكن البرت من أن يفك ذراعى جورج من حول وسطه ، وبسرعة البرق أمسك بساق جورج ورفعها من الأرض ، وكانت الحركة التالية سقوط جورج على ظهره ، وجلس البرت فوق بطنه معلنا انتصاره وهو يضحك فى سعادة غامرة ويقول : .

— هاه . . ما رأيك الآن يا جورج . . هل تجسر مرة أخرى على القول بأنك تستطيع أن تلقينى أرضا ؟!

ربدأ جورج فى البحث عن الكلمات التى يبرر بها هزيمته . . وأخذ يقول باستسلام واضح :

— لقد انتصرت على يا البرت شفايتزر لأنك ابن

قسيس الكنيسة .. ولأنك معروف لدى الجميع بأنك
« الجنتلبان الصغير » .. ولأنك أيضا لا تشعر بالجوع
« مثلنا » .. فلو كان يتاح لى أن أشرب حساء ولو مرنين
فى كل أسبوع لأصبحت قويا مثلك .. !

صمت ألبرت ولم ينطق بكلمة .. ولكنه قام
من جلسته فوق بطن جورج ، وأخذ كتبه المدرسية
التي كان قد ركنها على جانب من ساحة المعركة ..
وبدأ يسير تجاه بيته .. ولكن جورج صاح خلفه :

— ألبرت .. ألبرت .. أرجو ألا تكون غاضبا
منى .. !

كان ألبرت محبوبا بالفعل من جانب كل
الأصدقاء .. ولكن الكلمات التي سمعها من جورج كان
لها وقع كبير فى نفسه .. وما أن وصل الى بيته ،
حتى دخل فورا الى حجرة ، وألقى بنفسه على سريره .
وأخذ يفكر ..

وعندما حل موعد تناول العشاء ، تجمع كل أفراد
الأسرة حول مائدة الطعام : الأب .. والأم .. وخمسة

من الأبناء .. ولدان وثلاث بنات .. وبدأ الأب يتلو صلاة شكر لله : " بشرك يارب على ما وهبتنا من طعام .. ان رحمتك وسعت كل شيء " ..

وقال أحد الأبناء :

— ماذا أعددت لنا من الطعام يا أمه .. ؟

وقالت إحدى البنات :

— حساء .. أعتقد أنه حساء .. هذا شيء

عظيم .. !

وعندئذ قالت الأم :

— خذ يا ألبرت .. هذا طبق مملوء عن آخره

بالحساء .. فأنت أكبر الأبناء .. وتشعر بالجوع دائما

بعد عودتك من المدرسة .. !

لم يقل ألبرت شيئا .. بل جلس يتأمل في

طبق حسائه ، ويبدو وكأنه لا يسمع أصوات أمه وأبيه

واخوته .. بل يسمع بوضوح صوت زميله جورج

وهو يقول فى حسرة : « لو كنت أتناول الحساء مثلك
ولو مرتين كل أسبوع .. لأصبحت قويا مثلك ! » .
وأمسك بطرف المعلقة ، وغرف بها قليلا من
الحساء وأدخلها فى فمه .. ولكنه لم يستطع أن يبلع
الحساء فى جوفه .. فوضع المعلقة على حافة الطبق
وقال :

- لا أشعر بالجوع .. وليست لدى رغبة فى
الطعام ..

ف قالت الأم وهى تشعر بالقلق :-

- لا تشعر بالجوع ؟! .. كيف .. هل أنت
مريض ؟!

فقال البرت بهنو :

- لا .. ولكنى لا أشعر بالجوع فعلا .. والآن ..
هل تسمحوا لى بالعودة الى غرفتى .. ؟!
وعندما أصبح وحيدا بغرفته ، قال فى نفسه :

- لن أكون متميزا عن الأولاد الآخرين .. ولن
أفعل شيئا يجعلهم يشعرون بأنى مختلف عنهم ..
أريد أن يشعر الجميع بأننا أصدقاء حقيقيين !

٢ - الحياة فى البيت

كانت أسرة شفائترز تعيش سعيدة طول الوقت . . فالولدان والبنات الثلاث يعلبون مع بعضهم أجمل الألعاب . . وكان أولاد وبنات الجيران يسعدون أيضا باللعب معهم حول البيت .

وكانت الأم « مسز شفائترز » تقضى كل وقتها فى خدمة الأسرة ورعايتها . . وكانت تجد كل سعادتها حين ترى أبناءها سعداء فى حياتهم . .

وكان الأب « مستر شفائترز » يعمل قسا فى

كنيسة القرية وكان محل حب واحترام وتقدير من جميع الاعمال . وكانت وظيفته تلك تدر عليه دخلا بسيطا متواضعا يكفي بالكاد للوفاء بحاجات الأسرة ويهيئ لها حياة بسيطة .

ولكن الأب كان يحب أن يرى أبنائه وهم يرتدون ملابس حسنة وجميلة . وقد أدى ذلك الى حدوث نوع من سوء التفاهم بينه وبين ابنه ألبرت

ففى صباح أحد أيام الأحد . وبينما كانت الأسرة تتأهب للذهاب الى الكنيسة ، دخلت الأم الى حجرة ألبرت وهى تحمل على ذراعها معطفا من معاطف الشتاء وقالت :

— انظر يا ألبرت . . لقد استطاع أبوك أن يشتري معطفا شتويا جديدا لأن معطفه القديم أصبح ضيقا عليه . . وقد صنعت لك منه هذا المعطف الشتوى الجميل . . انه يبدو كما لو كان جديدا !

احمر وجه ألبرت وهو يقول لأمه :

— لا أريد أن ارتدى هذا المعطف اليوم . . فالجو

ليس باردا ولا يستدعى ارتداء مثل هذا المعطف .

فكالت الأم على الفور :

— كيف . . ان الجو شديد البرودة في الخارج .
واندهشت الأم حين لاحظت عدم اهتمام ألبرت
بالمعطف الشتوي الجديد . . واندهشت . أكثر حين قال
ألبرت :

— أماه . . أرجو ألا تجعليني أرتدى هذا
المعطف . . ان أحدا من أصدقائي أو زملائي لا يملك
معطفا شتويا مثله . . وأنا لا أريد أن أكون متميزا
عنهم !

وحزنت الأم كثيرا حين رأت ألبرت لا يرتدى
المعطف الشتوي أيضا حين كان ينأهب للذهاب الى
المدرسة في صباح اليوم التالي . . وقد لبس الحذاء
الخشبي في قدميه ، وغطى رأسه بغطاء رأس ريفي
يلبس مثله جميع الأولاد في القرية .

واضطرت الأم الى ابلاغ زوجها بذلك . وقام

الأب على الفور باستدعاء البرت ٠٠ وكان الأب آنثذ جالسا فى حجرته ليكتب شيئا ما ٠٠ وعندما امثل ألبرت أمامه ، وضع قلمه على المكتب وقال له :

— الآن يا بنى ٠٠ أرجو أن تفهم أننا نعمل بجد لكى نربيكم ونرعاكم وننشئكم تنشئة حسنة ٠٠ وان امك تعمل بكل طاقاتها لكى تعد طعامكم وملابسكم ٠٠ وعليك أن ترتدى المعطف الشتوى الذى أعدته لك ٠٠ فهو معطف يليق بابن قس الكنيسة ٠٠ !

فاجاب ألبرت موضعا وجهة نظره :

— ولكن يا أبى ٠٠ أنا لا أريد أن ٠٠٠

ولم يكمل ألبرت اجابته حين رأى والده يمسك بالقلم مرة أخرى ويبدأ فى الكتابة من جديد .
وقال الأب فى شيء من الحزم :

— أرجوك ٠٠ ولأجل خاطر أمك ٠٠ أن تسمع الكلام وترتدى الملابس التى نقدمها لك ٠٠ هذا كل شيء !

وخرج ألبرت من حجرة أبيه .. وكان هذا الموقف
بداية لاختلاف وجهات النظر بينه وبين أبيه .. وقد
استمرت هذه المشكلة لفترة طويلة .. حيث كان الأب
مصرأ على أن يكون مطاعا من جانب الابن الذى يجب
أن يسمع الكلام ويرتدى المعطف الشستوى .. وكان
الابن مصرا من جانبه على ألا يكون مختلفا أو متميزا
عن أصدقائه وزملائه الذين يلعبون معه أو يتعلمون معه
فى المدرسة . وجميعهم كانوا لا يملكون معطفا شتويا
مماثلا لهذا المعطف موضوع المشكلة .

وبطبيعة الحال فقد كان هؤلاء الأصدقاء والزملاء
لا يعرفون شيئا عن هذه المشكلة التى نشأت بين ألبرت
وأبيه .. ولا يعرفون شيئا أيضا عن مشاعر ألبرت
نحوهم ، وقراره بعدم ارتداء المعطف الشستوى لأنهم
لا يستطيعون أن يمتلكوا معطفا مثله ..

وظلت مشكلة هذا المعطف الشستوى مستمرة لفترة
طويلة ، حتى أصبح المعطف فى النهاية أصغر من
مقاس جسم ألبرت . وبالتالي فقد أصبح مناسباً لأخيه
الصغير .. !

٣ - وفي المدرسة

كل زملائه في المدرسة كانوا يحبونه حبا جما ..
وعندما شعروا بأنه كان يغضب عندما يطلقون عليه
لقب « الجنّتلمان الصغير » .. أصبحوا يصرون على
المزاح معه والمناداة عليه دائما بهذا اللقب ..

ولم يكن ألبرت على درجة كبيرة من الذكاء أثناء
فترة الدراسة . بل وكان يبدو سـارح الذهن في
أشياء أخرى غير ما يدور في الفصل أثناء شرح الدروس
ومذاكرتها .

وكثيرا ما كان يقول لوالديه أن هذا الولد أو ذاك

أفضل منه فى معرفة الدروس وفهمها .. وأنه لا يتميز
عن الآخرين الا بطول قامته وقوة بنيته وبأن الجميع
يجبونه دون استثناء ..

ولكن هناك شيئا فى غاية الأهمية كان يتميز به
ألبرت عن كل أقرانه .. الموسيقى !

فعندما كان فى سن الخامسة بدأ أبوه يعلمه
العزف على البيانو الذى كان لديهم بالبيت .. وبعد
فترة قصيرة أجاد العزف وأجاد قراءة النوتة الموسيقية
.. وحين بلغ الثمانية بدأ يتعلم العزف على الأرغن،
فأجاده اجادة تامة ، لدرجة أنه حين بلغ التاسعة من
عمره ، أصبح يستطيع أن يحل محل محل عازف الأرغن
فى الكنيسة التى يعمل بها أبوه ..

وفى سن التاسعة أيضا ، انتقل ألبرت الى
المدرسة الثانوية التى كانت تقع فى قرية تبعد عن
بنيه عدة أميال .. وكان عليه أن يمشى هذه الأميال
على قدميه كل يوم للذهاب الى المدرسة والعودة منها ..
ولكنه كان يتمتع فعلا بهذا المشوار الطويل لأنه كان

يحب النجول كما يحب أن ينفرد بنفسه أوقانا طويلا
برغم حبه للناس الآخرين .

وفد لاحظ زملاؤه في تلك المدرسة الجديدة أن
من السهل اضحاكه .. وكان يضحك طويلا وبصوت
مرتفع .. ولذلك فقد كانوا يحرصون دائما على فعل
كل الأشياء التي تضحكه حتى أثناء وجوده في الفصل
.. لدرجة أن المدرس وضع علامة سوداء على كراسته
عقابا له على ضحكه أثناء الدرس ..

ولذلك أطلق عليه زملاؤه لقباً جديداً هبو ..
شفايتزر « الضاحك » .. !

٤ - حب الحيوانات

ومنذ أيام الطفولة - كان ألبرت يعطف ويحب جميع الحيوانات الصغير منها والكبير على حد سواء . . . وكان لا يطيق أن يرى تعرض هذه الحيوانات لأى أذى أو سوء معاملة .

وفى احدى المرات شاهد حصانا مريضا هزيلا يجر احدى العربات الثقيلة فى شوارع القرية . . . وكان سائق العربته ينهش بالعصا على ظهر هذا الحيوان المسكين ليحثه على السير . . . وظل ألبرت متألما من هذا المنظر الذى علق بذهنه لأسابيع طويلة . . . وحين كان

يتأهب للنوم ، كان هذا المنظر يمر بذهنه فيبدد النوم
من عينيه .. وكان يتعجب حين يسمع صلوات أبيه
لكى تسود المحبة والرحمة بين الانسان وأخيه الانسان
دون ذكر الحيوانات التى كان يراها تستحق المحبة
والرحمة تماما مثل الانسان .

لذلك ، ففى كل مرة كان يتأهب فيها للنوم ..
كان يؤدى صلاة خاصة به يقول فيها : « وارحم يارب
كل كائن يتنفس .. واحفظه بعيدا عن شرور الناس
وأذاهم .. ودع كل الحيوانات تعيش فى سلام وتنام
فى سلام » ..

وفى احدى المرات مر ألبرت بتجربة كاد أن
يتعرض فيها لتوقيع الأذى على بعض الطيور .. حين
أغراه ولد صغير من زملاء المدرسة اسمه هنرى بأن
يشاركه فى احد الألعاب .. فقد جاءه صديقه هنرى
هذا وهو يمسك فى يديه « نبلة » مصنوعة من فرع
شجرة صغير وقطعة من « الأستك » ..

وقال هنرى :

— شفايتزر ٠٠ أنظر ماذا صنعت !

وأعطاه «النبلة» فأخذ ألبرت يتفحصها وأعجب بها
وقال لصديقه :

— نبلة جيدة ٠٠ ليتنى أمتلك واحدة مثلها

فقال هنرى ببساطة :

— لقد صنعتها بسهولة ٠٠ وتستطيع أنت أيضا
أن تصنع واحدة أخرى ٠٠ هيا الآن !

وأخذ البصبيان يبحثان بين فروع الاشجار الجافة
على قطعة صغيرة مناسبة تصلح لصناعة النبلة ٠٠
وجهازها أيضا بقطعة من الأسلاك ٠٠ وأصبحت النبلة
الجديدة صالحة للاستعمال ٠٠ عندئذ قال هنرى :

— والآن ٠٠ هنا نصلد الى أعلى التل لنصطاد
الطيور الجميلة التى تمتلئ بها أغصان الشجر !

وصعدا الصبيان الى أعلى التل . . ووقفا تحت
الأشجار . . وكانت هناك مجموعة كبيرة من الطيور
الصغيرة صفراء الريش : وعلى رأسها ريش صـغير
أحمر . . وكان منظرها جميلا ويبعث على البهجة . .

وعندئذ قال هنرى :

— أنظر الآن الى ما سوف أفعله !

والتقط هنرى حصة كروية الشكل ووضعها
فى النبلة وبدأ يجذب « الأستك » ويصوب قذيفته
صوب أحد الطيور الصغيرة الجميلة . ولكن فجأة
دقت أجراس الكنيسة ، وتردد صدى رنينها فى جميع
الانحاء . . وكان صدى الرنين يختلط بتغريد الطيور
الجميلة وهى تتنقل مبتهجة بين غصن وآخر . .

وعندئذ تذكر ألبرت صوت أبيه وهو يتلو الموعظة
فى صلوات ايام الأحد . . « لا تقتل ! » . . وفى
سرعة البرق بدأت هذه الوصية تتردد فى ذهن ألبرت
. . كما لو كانت تحذره من أن يرتكب جريمة القتل . .

وفى لمح البصر أخذ ألبرت يصيح بصوت مرتفع
ويصفق بيديه بشدة ٠٠ فانزعجت جميع الطيور
وطارت من فوق أغصان الشجر ٠٠ وهنا فقط ارتاح
قلب ألبرت حين رأى الطيور الجميلة وقد أنقذت ٠٠
أو على الأقل انقذ الطائر الصغير الذى كان هنرى يصب
قذيفته اليه ٠٠ وبعد ذلك أخذ ألبرت يجرى بسرعة
عائدا الى البيت ، بعد أن تخلص أيضا من النبلة التى
اعتبرها أداة من أدوات القتل ٠

ومنذ ذلك اليوم ، لم يشترك ألبرت اطلاقا مع
اصدقائه أو زملائه فى صيد الطيور أو صيد الاسماك
أو أية لعبة أخرى تؤدى الى ازهاق روح أى طائر أو
حيوان ٠٠

ومرت الأيام والشهور والسنين ٠٠ وكان ألبرت
شفاشنزر لا يحصل على درجات عالية فى الامتحانات
أو أثناء العام الدراسى ٠٠ وحين أحس بأن أبويه كانا
يحزانان بسبب ذلك ، وعدهما بأن يجتهد فى حفظ
ومذاكرة دروسه جيدا ليرضيهم ٠٠ وبالفعل فقد أقبل

على الدراسة بهمة زائلة حتى بالنسبة لبعض العلوم
التي كان لا يحبها .. أما أحب العلوم وأقربها إلى قلبه
فقد كان علم التاريخ .. !

٥ - الموسيقى

واصل ألبرت شفايتزر دراسته للموسيقى، ولكنه لم يواظب على التمرين المستمر ، كما أن عزفه كان خاليا من الاحساس الذي يجب ان يتوافر لدى عازف الموسيقى المتمرس . . ولكن ربما اتخذ ألبرت هذا الموقف بسبب اقتناعه بأنه « ولد » ولذلك فيجب ألا يظهر مشاعره الداخلية الحقيقية مثلما تفعل البنات . . وبطبيعة الحال فقد كانت هذه فكرة خاطئة وكان من الواجب أن يتخلص من آثارها . .

وفي إحدى المرات بينما كان يتلقى درسه

الموسيقى ، ويقوم بعزف احدى القطع الموسيقية أمام
اسناذه عزفا خاليا من الاحساس . فقد الاستاذ
أعصابه وعنفه قائلا :

— انك لا تستحق أن تعطى هذه الموسيقى الرفيعة
لتعزفها بنلك الطريقة الخالية من الاحساس ' .

ثم أعطاه الاستاذ مقطوعة اخرى ليتمرن عليها
حتى الاسبوع التالى ، وقال له :

— خذ هذه المقطوعة . . . وسأسمع عزفك لها فى
الحصة القادمة . . . واذا لم يكن لديك احساس
بالموسيقى . . . فانى لن أستطيع ان ساعدك بعد ذلك !

وفى أثناء عودته الى البيت بعد انتهاء درسه
الموسيقى . . . كان ألبرت يفكر فى قرارة نفسه : « اذا
لم يكن لديك احساس بالموسيقى . . . ماذا يظن بى
الاستاذ . . . هل يظن أنى مجرد من الاحساس . . . ألا
يعرف أن الموسيقى هى أفضل متعائى ؟! » . . .

وظل ألبرت يتمرن على عزف المقطوعة التى أعطاه

الاستاذ فوتتها الموسيقى ٠٠ واستمر التمرين يوما
وراء يوم بكل عناية واستغراق ٠٠ وفي نهاية الاسبوع
ذهب ليعزفها أمام الاستاذ .

وقال الأستاذ وهو يستقبله :

— هاه ٠٠ أرني كيف سبتشوه هذه المقطوعة
بعزفك الخالي من الاحساس !

وعزف ألبرت المقطوعة بدقة واحساس سليم ٠٠
وما أن انتهى من العزف حتى قال له الأستاذ :
— شكرا ٠٠

ولم يقل أية كلمة أخرى ٠٠ ولكن الأمور تغيرت
منذ تلك اللحظة ٠٠ حيث بدأ الأستاذ يفتح آفاق
الموسيقى الرفيعة أمام تلميذه ٠٠ وجعله يمزج حاسيسه
ومشاعره بالجميل الموسيقية التي يعزفها ٠٠

ومنذئذ تمكن حب الموسيقى من قلب ألبرت
شفايترز ٠٠ وكأنت موسيقى « باخ » المؤلف الألماني
الشهير ، هي أقرب المؤلفات الموسيقية الى قلبه ٠٠

خصوصاً المؤلفات التي كتبها هذا الموسيقى العظيم -
لتعزف على آلة الأرغن ٠٠ !

٦ - الامتحانات المدرسية

كان ألبرت شفائتزر قد بلغ الثامنة عشرة من عمره حين انتهت دراسته بالمدرسة الثانوية . . وكانت نتيجة امتحاناته النهائية سارة بالنسبة له وبالنسبة لأصدقائه . .

كان حينئذ يعيش في منزل عمه الذي يقع في قرية تبعد قليلا عن « جونزباخ » وذلك لكي يصبح قريبا من مقر المدرسة الثانوية . وعندما اقترب موعد الامتحانات النهائية قالت له زوجة عمه :

- لا تنس ان تقاليد المدارس الثانوية هنا تحتم

على الأولاد أن يرتدوا معاطف سوداء وبنطلونات سوداء-
ذات أشرطة ، وذلك حتى يتمكنوا من دخول الامتحانات
النهائية ..

فقال البرت :

— لدى معطف اسود .. ولكنى لا أملك بنطلونا
اسود ..

فقال زوجة العم بهزم :

— اذن يجب ان نشترى بنطلونا أسود فورا ..

وقال البرت :

— مستحيل .. لأن والدى لا يمتلك فائضا من
النقود لشراء ملابس جديدة .. كما أن البنات وحدهن
هن اللاتى يرغبن فى ارتداء الملابس الجديدة ..

ونظر الى عمه وقال :

— ما رأيك يا عمى .. هل يمكننا أن تقرضنى
بنطلونك الاسود .. ؟!

**فقال العم بدهشة وهو يرفع عينيه من الجريدة
التي يقرأها :**

— أقرضك بنطلوني ؟! ٠٠ على العموم فلا مانع
لدى اذا كان البنطلون على مقاسك ٠٠ عليك أن تجربه
أولا ٠٠ !

ونظرا لأن ألبرت لم يكن يهتم كثيرا بموضوع
الملابس ، فلم يجرب ارتداء بنطلون عمه ليرى كيف
تكون النتيجة . وفى صباح يوم الامتحان تمت التجربة
وكانت النتيجة مضحكة للغاية ٠٠ فقد كان ألبرت
نحييفا طويلا ، بينما كان عمه بدينا وقصيرا ٠٠ ولذلك
فان البنطلون لم يصل الا الى منتصف ساقيه ٠٠ أما
فى منطقة الوسط ، فقد كان البنطلون يتسع لشخصين
آخرين فى حجم ألبرت !

ولكن لم يكن هناك وقت للتصرف ، وذهب الى
الامتحان بهذا الشكل المضحك ٠٠ وبرغم أن جميع
الطلبة من زملائه كانوا متوترين وقلقين وأعصابهم
مشدودة بسبب الامتحان ، الا أنهم جميعا انفجروا فى

الضحك حين رأوا ألبرت قادما نحوهم وهو يرتدى هذا
البنطلون العجيب !

وقد اجتاز الامتحانات التحريرية والشفوية
بنجاح ، وحاز في علم التاريخ درجات عالية .. وأصبح
الآن جاهزا للدراسة الجامعية .

والتحق ألبرت بجامعة ستراسبورج .. وواصل
دراسته الجامعية أيضا أثناء أدائه للخدمة العسكرية لمدة
عام كامل .. وبينما كان الجنود من زملائه يقضون
أوقات فراغهم في اللعب أو الأحاديث السارة ، كان
ألبرت يقضى هذه الأوقات منهمكا في الدراسة وقراءة
الكتب والمراجع .

٧ - الموسيقى مرة أخرى

وفي خريف عام ١٨٩٣ ، زار ألبرت باريس لأول مرة . وعاش لفترة في بيت أحد أعمامه . وكان هدفه الرئيسي من زيارة باريس هو رؤية آلات الأرغن الضخمة ومقابلة عازفي الأرغن المشهورين .

وقد ساعدته زوجته عمه في مقابلة « المسيو فيدور » وكان من أشهر عازفي الأرغن الفرنسيين وهيأت له الفرصة في أن يعزف أمام هذا العازف الشهير ليري ان كان عزفه للأرغن يستحق الاستمرار فيه أم لا .

وكان أول سؤال وجهه اليه مسيو فيدور :

. هاه . . ماذا ستسمعنى ؟!

فقال ألبرت :

— مقطوعات من موسيقى باخ . . طبعاً !

وجلس ألبرت على مقعد آلة الأرغن . . وكانت
أضخم وأفخم آلة شاهدها من قبل . . وبدأ العزف . .
وانغمس فى الموسيقى بكل مشاعره وأحاسيسه
وانفعالانه . . ونسى كل شئ حوله عدا نغمات الموسيقى
وهى تتلاحق فى الخروج من الأرغن . .

أما مسيو فيدور ، فقد نسى أيضاً أنه يستمع
الى عزف عازف ريفى مجهول . . وانغمس بدوره فى
سماع الموسيقى والاستمتاع بأنغامها . . وتأكد لديه
أن هذا العازف القادم من الريف يملك الامكانيات
الفنية لعازف قدير . وما أن انتهى ألبرت من العزف
حتى بادره مسيو فيدور قائلاً :

— عظيم . . ولكن كيف سترتب أمورك لحضور
الدروس التى أنوى أن أعلمك اياها . . ؟!

وكان هذا السؤال بداية لصداقة عظيمة استمرت
بينهما الى آخر الحياة .. وكلما جاء ألبرت الى باريس
كان يتلقى دروسه فى الموسيقى على يدي العازف الشهير
الكبير ميسيو فيدور .. وعندما كان يتوفر لديه بعض
المال ، كان يدفع أجر تلك الدروس .. وحين لا يتوفر
المال ، كان يتلقى دروسه بلا مقابل ..

٨ - القرار العظيم

وفي سن الحادية والعشرين ، اتخذ ألبرت شفايتزر قرارا هاما يتعلق بمستقبله .. ففي فترة العطلة الصيفية كان يعود الى قريته الصغيرة « جونزباخ » .. وانتهاز فرصة الهدوء في جو القرية ليفكر فيما عساه أن يكون في مستقبل حياته ..

هل يصبح أستاذا بالجامعة يلقي المحاضرات ويؤلف الكتب ؟ .. أم يصبح قسا في كنيسة احدى القرى مثل والده ؟ .. أم يصبح عازفا شهيرا مثل صديقه مسيو فيدور ؟ .. ان اتخاذ مثل هذا القرار

يشير حيرة الشباب في هذا السن ..

واستيقظ مبكرا في صباح أحد الأيام ، وأطل من نافذة الغرفة فرأى الريف الجميل في بهائه وروعته ..
فقال لنفسه :

— بأى حق أستحق أن أمتع نفسي بكل هذا الجمال وأشعر بكل هذه السعادة .. فى حين أن العالم مغمم بالشقاء والأشياء المؤلمة التى تنير الأحزان .. ؟!

فى طفولته كان لا يطيق ان يرى طيرا حبيسا فى قفص .. ولكنه الآن أصبح يدرك أن كثيرا من الناس يتعذبون ويعانون من أوضاع حياتهم .. وعاد يقول **لنفسه من جديد :**

— هأنذا فى الحادية والعشرين من عمرى .. قوى مثل الحصان .. سعيد فى بيتى وبين أعلى .. وأحب عمل .. وقريتى .. وأصدقائى .. وكتبى .. وهوسيتقأى .. فىأى حق أمتع بكل هذا القدر من السعادة .. ؟!

ومر بذهنه شريط طويل من الذكريات : سمع

كلمات صديقه جورج حين تعارك معه فى أحد أيام
الطفولة وهو يقول له « لو كنت أستطيع أن أتناول
الحساء ولو مرتين فى الاسبوع لأصبحت قويا مثلك ! »
كما سمع كلمات صديقه هنرى حين قال : « فلنصعد
الى أعلى التل لنصطاد الطيور ! » .. كما شعر بكل
تلك الدوافع القديمة التى جعلته يشعر بالرحمة
والشفقة على كل الكائنات الضعيفة التى تحتاج العون
والمساعدة .

وعاد يقول لنفسه مرة أخرى :

— لقد كنت دائما من المحظوظين .. ولكن ماذا
عن الناس الآخرين .. لقد حاولت أن أنساهم وأعيش
حياتى الشخصية الخاصة .. ولكنى رأيت أن هذا العمل
يتسم بالأنانية البغيضة .. وأصبحت لا أستطيع أن
أشعر بطعم السعادة بينما العالم من حولى يعاني من
متاعب الحياة .. !

وفى ذلك الصباح الجميل المبكر لأحد أيام
الصيف ، اتخذ ألبرت شفايتزر القرار التالى : « فليظل

حتى الثلاثين من عمره متفرغا للدراسة وللموسيقى ..
ثم يهب بعد ذلك حياته كلها لخدمة الآخرين » ..

وعندما ارتدى ملابسه وخرج ليتمشى قليلا قبل
أن يحل موعد افطاره .. أحس بهدوء نفسى شديد بعد
أن اتخذ هذا القرار ..

وفى خلال السنوات التسع التالية ، أكمل
شفايتزر تعليمه الجامعى ، وبدأ بؤلف بعض الكتب
منها كتابين عن الموسيقى الألمانى « باخ » .. وأخذ

يلقى بعض المحاضرات فى جامعة ستراسبورج ، بل
وأصبح عميدا لاحدى الكليات ، كما أصبح قسا فى
احدى الكنائس ، كما حرص على عزف الأرغن بانتظام .

وكانت حجرة المكتب فى بيته ممتلئة بالكتب
والأوراق التى كانت تأخذ كثيرا من وقت السيدة
العجوز التى تخدمه حتى تنظفها وتعيد ترتيبها .. ولكن
السيدة كانت مع ذلك سعيدة لأنه لم يعرض اطلاقا
على أى طعام تضعه أمامه .. كما لم يعرض يوما لأن
ملابسه لم تصلح كما يجب ..

وعلى مدى سنوات طويلة كان شفهايتزر يفكر في نوع العمل الذى سيخصص فيه بقية حياته . وقد انضم الى مجموعة من الشبان والشابات جعلوا أنفسهم فى خدمة الفقراء فكانوا يزورون عددا كبيرا من العائلات الفقيرة لمساعدتها وتلبية احتياجاتها .

وقد تعرف شفهايتزر على احدى الشابات من ضمن أعضاء هذه المجموعة ، وعقد معها أواصر الصداقة ، ثم تزوجها فيما بعد .

ومرت السنوات حتى بلغ شفهايتزر سن التاسعة والعشرين . وفى احدى الامسيات ،، عشر فى مكتبة على احدى الجرائد التى يبدو أن شخصا ما قد نساها هناك . وفى هذه الجريدة قرأ مقالا يصف الحالة البائسة التى يعيش فيها قبائل الزنوج من سكان الكونجوجو ووسط افريقيا . حيث ينتشر الجوع والمرض وحيث توجد مناطق شاسعة تمتد مئات الأميال ، لا يوجد فيها طبيب واحد .

وفى تلك الامسية ، اختار ألبرت شفهايتزر هدف

حياته المستقبلية .. لا بد أن يذهب الى افريقيا ليساعد
أهلها .. وما دام هؤلاء الأهالي يحتاجون الى الرعاية
الطبية ، فلا بد أن يذهب اليهم كطبيب لمعالج
أمراضهم بقدر ما يستطيع .. !

واندهش أصدقاؤه جميعا حين سمعوا هذا القرار
المفاجيء .. فهذا رجل في امكانه ان يعيش سعيدا في
أوربا .. وفي استطاعته أن يصبح طبيبا أو أستاذا
جامعيا أو كاتباً أو عازفا للأرغن .. ولكنه اختار
أصعب طرق الحياة .. اختار ان يدفن نفسه بين
القائل الافريقية السوداء التي تعيش في مناطق موبوءة
بأخطر الأمراض ..

قال بعض أصدقائه أن هذا القرار يدل على
الهوس والجنون .

وقال صديقه مسيو فيدور :

— ولكن لماذا يا ألبرت تذهب الى افريقيا كطبيب
وانت لم تدرس الطب بعد .. فلمتذهب الى هناك
كواعظ ديني .. وهو عمل أنت مؤهل له خير تأهيل ..

واجابه شفائتزر :

— ان الناس هناك ليسوا فى حاجة الى الكلام . .
انهم يحتاجون الطعام والعلاج الطبى . . وما فائدة أن
تحدث مثل هؤلاء الناس عن عقيدة أو دين يقوم على
المحبة ، دون أن تثبت لهم ذلك بطريقة عملية . . ١٩

٩ - دراسة الطب

وعلى مدى السنوات الخمس التالية ، انغمس شفايتزر فى دراسة الطب ٠٠ وكانت دراسة صعبة مضنية ، ولكنه ظل مواظبا عليها ومجتهدا فيها حتى اجتاز الامتحانات النهائية بنجاح كبير ٠٠ ثم قضى سنة أخرى للتدريب فى احدى المستشفيات ٠٠ ولجمع النقود اللازمة للمستشفى الذى ينوى اقامته فى افريقيا ٠٠ !

وعاونه بعض الأصدقاء فى جمع التبرعات ، كما أقام عدة حفلات كان يعزف فيها على الأرغن ، وكان

يخصص دخل هذه الحفلات لمشروع المستشفى

وفي خلال تلك الفترة تزوج بالشبابه التي
أحبها .. والتي كانت تتمرن بدورها على مهنة التمريض
أثناء دراسة زوجها للطب ..

وقبل أن يصبح الزوجان مستعدين تماما للسفر ،
قضيا بضعة أسابيع في شراء كل الاحتياجات الخاصة
بمشروع المستشفى .. وفي النهاية ، عندما حل ربيع
عام ١٩١٣ ، اسنقل الزوجان ظهر السفينه التي رحلت
بهما الى سواحل غرب افريقيا .. وكان عمر شفايتزر
آنئذ ، ثمانية وثلاثين عاما ..

١٠ - الوصول الى أفريقيا

وصلت السفينة الى ميناء صغير يقع عند مصب
نهر « أوجو وى » .. ومن هناك استقل الزوجان قاربا
نهريا ظل يبحر بهما صعودا مع مجرى النهر لمدة يومين
كاملين .. وكانت الغابات الكثيفة تحيط بشاطئى
النهر .. وكان الجو حارا ورطبا طول الوقت سواء
أثناء الليل أو أثناء النهار ..

وعندما وصل القارب النهرى الى مشارف القرية
الافريقية التى اختارها شفايتزر لاقامة مستشفاه ..
وكانت قرية صغيرة تسمى « لامبارينى » .. تجمع

حوله مجموعة من الأهالى السود ٠٠ يركبون قوارب
بدائية مصنوعة من جذوع الأشجار ، ويستخدمون قطعاً
طويلة من الخشب كمجاديف ٠٠

وأحاطت هذه المجموعة من القوارب البدائية
بالقارب النهري الذى كان يركبه الزوجان شفايتزر ٠٠
وكان الأهالى يجدفون وهم يغنون فرحين : هوبا ٠٠
بوبا ٠٠ هوبا ٠٠ بوبا ٠٠ تسوت تسوت ٠٠ هوبا
٠٠ بوبا ٠٠ هوبا ٠٠ بوبا ٠٠

وأخيراً وصل الـركب الى منطقة تشبه خليجاً
صغيراً يحيط به تل منخفض ، تتناثر عليه مجموعة من
الأكواخ الفقيرة ٠٠ وفى هذه المنطقة عاش شفايتزر
وزوجته لسنوات طويلة .

وسرعان ما انتشرت فى أرجاء الغابات المحيطة
الأنباء السارة بوصول أحد الأطباء الى قرية «لامبارينى»
٠٠ وسرعان ما تجمع المرضى من كل صوب ٠٠ قادمين
نحو القرية زرافات ووحداً ٠٠ حتى قبل وصول
القارب النهري الذى يحمل المعدات الطبية التى أحضرها
الزوجان ٠٠

وفى كل صباح ، عندما كان شفائيتزر يخرج من مسكنه ٠٠ كان يرى عشرات من المرضى الذين حضروا منذ الصباح المبكر ، وقد جلسوا على الأرض فى انتظاره ٠٠ عشرات من الأفريقيين الذين يعيشون فى اعماق الغابات ٠٠ من الشيوخ والنساء والرجال والشبان والشابات والأطفال الصغار والأطفال الرضع ٠٠ وكانوا جميعا يعانون من أمراض عدة بسبب الجو غير الصحى وبسبب سوء التغذية وقلة الطعام الذى يتناولونه ٠

وقال له أحد هؤلاء الشبان المرضى :

— اننا جميعا نشكو من المرض ٠٠ كل فرد يعيش فى هذه البلاد لا بد أن يكون مريضا بمرض ما ٠٠

وقال أحد رؤساء القبائل :

— ان الأرض تأكل أطفالنا ٠٠ !

ولم يمر وقت طويل ، حتى أصبح شفائيتزر هو الملازم الوحيد لراحة الأهالى ٠٠ بل كانوا يستريحون بمجرد النظر الى وجهه ٠٠ وكانوا يقصدونه من مختلف

المناطق ، بل ومن مناطق تبعد عن قرية « لامباريني »
بمئات الأميال ..

وعندما وصلت الأدوات والمعدات الطبية التي
استحضرها معه ، لم يكن هناك مكان مناسب لحفظها ،
وظل يباشر علاج مرضاه في العراء والهواء الطلق ..
ولكن عندما ابتدأت الأمطار الغزيرة تنهمر من السماء ،
قام بتنظيف عشة واسعة كانت مستخدمة في تربية
الدجاج ، وجعلها مقرا يستقبل فيه مرضاه ..

وفي خلال الشهور الأولى التالية على وصوله الى
افريقيا .. كانت زوجته تعاونه في عمله الى جانب
قيامها بالاشراف على أعمال البيت .. وكانت بمجرد
الانتهاء من هذه الأعمال ، تسرع بالذهاب الى عشة
الدجاج لمساعدة زوجها في عمل العمليات الجراحية
أو في الكشف على المرضى وعلاجاتهم بمختلف أنواع
الأدوية ..

١١ - جوزيف

وشعر شفايتزر بسعادة غامرة حين شاهد ضمن مرضاه السود ، رجلا ذا ملامح ذكية ، ويعرف الكلام باللغة الفرنسية ، وكان يعمل طبّاخا لدى أحد الرجال البيض . . . وقال له شفايتزر :

— هل يمكنك أن تعمل لدينا كطباخ . . . وأن تساعدنا أيضا في أعمال المستشفى ؟!

علا البشر وجه الطباخ وابتسم راضيا وهو يقول :

- نعم يا دكتور .. أستطيع أن أعاونك فى كل

شئ !

هكذا تعرف الزوجان على « جوزيف » الذى عمل
معهما لسنوات طويلة بكل اخلاص .. وكان هذا الرجل
الذى يستطيع التحدث بشمانى لغات .. وكان أميناً
وشفوقاً وحاذقاً ويؤدى عمله دون كلل أو ملل ..
ولكن أغرب شئ فيه أنه كان لا يستطيع قراءة أو كتابة
اللغة الفرنسية ، ومع ذلك فقد كان يستطيع ان يحضر
أية زجاجة دواء يطلبها شفايتزر .. وقد سأله شفايتزر
فى يوم ما :

- كيف تستطيع أن تميز بين زجاجات الدواء
وكلها متشابهة .. وانمت لا تعرف قراءة الفرنسية ؟!

وكان جوزيف يرد ببساطة :

- انى احفظ فى ذاكرتى شكل الكلمات المكتوبة
على كل زجاجة !

وعندما قال جوزيف : « أستطيع أن أعاونك

يا دكتور فى كل شىء ، ٠٠ كان صادقا مع نفسه ومع
الطبيب ٠٠ فقد كان جوزيف يعاون الزوجين فى جميع
أعمال المستشفى ٠٠ وكان يترجم لهما ما يقوله الأهالى
الذين لا يعرفون سوى لغاتهم ولهجاتهم المحلية ٠٠
وكان يساعد الزوجين فى فهم التقاليد والعادات
الافريقية ٠٠

وحين كان شفايتزر يغضب بسبب سرقة أحد
الأشياء الصغيرة من البيت ، كان جوزيف يشرح سبب
السرقه للدكتور وهو يبتسم :

- انك لم تقلق عليه جيدا يا دكتور ٠٠ ولذلك
فقد ذهب ليتمشى ٠٠ !!

١٢ - الحياة فى لامبارينى

وقام أصدقاء شفائتزر فى باريس بشراء بيانو كبير وأهدوه له مرسلا على احدى السفن ٠٠ حتى وصل البيانو أخيرا الى المسكن المتواضع الذى كان يعيش فيه الزوجان شفائتزر فى قرية لامبارينى ٠٠

وظل البيانو منزويا - دون أن يمس - فى أحد أركان البيت ٠٠ وكان شفائتزر يقول لزوجته :

- لا ٠٠ لا تسألينى أن أعزف على هذا البيانو ٠٠
ان قدومى الى افريقيا معناه نهاية حياتى كعازف للموسيقى ٠٠ !

ولكن بسرور الوقت ، بدأ شففايتزر ينفذ على البيانو بعد انتهاء عمله بالمستشفى في إحدى الامسيات . . . ومنذ تلك الأمسية بدأ صوت الموسيقى يتردد في جنبات الغابة . . . وبدأ شففايتزر يجد الوقت الكافي لكي يتعمق أكثر وأكثر في الموسيقى الرفيعة النبيلة التي ألفها الموسيقار الألماني « باخ » .

وبمرور الوقت أيضا ، أصبحت هناك حجرتان نظيفتان تستعمل أحدهما للكشف على المرضى ، وتستخدم الأخرى كغرفة عمليات . . . كما جهزت بعض الحجرات الأخرى بالأسرة اللازمة لرقار بعض المرضى الذين يستلزم علاجهم البقاء تحت إشراف شففايتزر لفترة .

وفي الليلة الأولى من افتتاح هذا المستشفى قام شففايتزر بالمرور ليطمئن على راحة مرضاه الراقيز على الأسرة ، ففوجئ بمنظر لم يتوقعه إطلاقا . . . فقد رأى المرضى راقيدين على الأرض ، بينما كان أقاربهم أو أصدقائهم ينامون فوق الأسرة !! . . . فقام شففايتزر

على الفور بتصحيح هذا الوضع الغريب ، وأخرج
الأصحاء من مبنى المستشفى ، وأعاد المرضى للرقاد على
الأسرة المخصصة لهم ..

١٣ - العمل فى المستشفى

استمر العمل فى المستشفى لمدة أطويلة وكان العمل يتحسن باستمرار ٠٠ ولكن الشيء الذى كان يشير الاشفاق هو الحالة البائسة للمرضى الذين كانوا يحضرون الى المستشفى من أماكن بعيدة نائية ٠٠ فقد كانوا جميعا لا يعرفون شيئا عن العلاج الطبى ٠٠ وكانوا يتعاملون مع الدكتور شفائتزر على أساس أنه ساحر ماهر !

بل لقد اطلقوا عليه اسم « أوجاندا » ومعناه الساحر القدير الذى يعرف جيدا أسرار الأعمال

السحرية . وقالت عنه امرأة عجوز كانت تشكو من
مرض بالقلب :

— أنه ساحر عظيم . . . لقد عرف بسهولة أنى لا
أستطيع أن أتنفس جيدا أثناء الليل . . . كما عرف أن
قدمى تتورمان فى بعض الأحيان حتى قبل أن يرهما
بل ودون أن أخبره بذلك . . . !

وكان المرضى وذووهم ينعجبون لطريقة التخدير
التي كان يقوم بها لمرضاه قبل إجراء العمليات
الجراحية . . .

وقالت فى ذلك احدى الفتيات :

— منذ أن جاء « الأوجاندا » الى هنا . . . ونحن نرى
أعمالا سحرية غريبة . . . انه يقوم « بقتل » المرضى لفترة
بسيطة . . . وبعد أن « يصلح » اجسادهم يعيدهم الى
الحياة مرة أخرى وقد شفوا من أمراضهم !

وبعد مرور نحو تسعة شهور من العمل المتواصل
في هذا المستشفى ، كتب شفايتزر لأصدقائه في باريس



المستشفى في لامباريني

لأنه قد قام فى خلال تلك المدة بعلاج نحو ألفين من المرضى
الذين كانوا يشكون من مختلف أنواع الأمراض . . . وأنه
لذلك فى حاجة الى المزيد من المستلزمات الطبية لكي
يستمر علاج المزيد من الناس .

وفى أحد الأيام وصل رجل مريض جدا ويصرح
من شدة الألم . . . وكان فى صحبة هذا المريض مجموعة
من أصدقائه هم الذين حملوه من منطقة بعيدة حتى
أوصلوه الى المستشفى . . . وكان الرجل - مازال يصرخ
بين حين وآخر من شدة الآلام التى لا يستطيع أن يتحملها
أو يطيقها . . . وقال له الدكتور شفائيتزر :

- لا تخف . . . ستنام الآن لفترة أقل من ساعة . . .
وعندما تستيقظ مرة أخرى . . . لن تشعر بشيء يؤلمك !

وقام الطبيب بتخديره . . . ثم أجرى له عملية
جراحية عاونه فيها زوجته وقام المخلص جوزيف بتقديم
كل المساعدات الممكنة . وبعد انتهاء العملية ، ظل
شفائيتزر جالسا الى جوار سرير الرجل المريض منتظرا
أن يفيق بعد انتهاء مفعول التخدير . . .

ويتمهل شديد . بدأ المريض يحرك رأسه . . ثم
فتح عينيه ، وبدأ يتنفس بعمق ، ويدرك الأشياء التي
تدور حوله . . وفجأة بدأ الرجل يصيح مرة أخرى :

— لقد ذهب الألم . . لقد ذهب الألم . . لم أعد
أشعر بأى ألم . . لقد ذهب الألم تماما . . !!

وكان هذا الرجل نموذجا لغيره من عشرات ومئات
المرضى الذين جاءوا الى « الأوجاندا » من مناطق تبعد
مئات الأميال . . قاصدين الشفاء على يديه المباركتين
وعطف قلبه الطيب . . !

١٤ - الحرب العالمية الأولى

وفي صيف ١٩١٤ ، فكر الزوجان شفايتزر في أن يقوموا برحلة قصيرة الى أوروبا ليستريحوا فيها من عناء العمل المتواصل في المستشفى ، وليستروحا فيها نفسيهما مثلما يفعل غيرهما من البيض الذين يعملون في افريقيا .

ولكن في منتصف الصيف ، جاء بعض الجنود الفرنسيين الى حيث يسكن شفايتزر وزوجته . وقالوا لهما بخشونة وبطريقة عسكرية :

- انتما من اقليم الألزاس . . وقد ولدتما في

منطقه المانيية .. وانتما الآن تعيشان فى افريقيا
الفرنسية .. ونظرا لأن الحرب دائمة الآن بين ألمانيا
وفرنسا .. فانتما الآن اسرى لنا .. واعتبرا نفسيكما
مقبوضا عليكما .. فلا تغادرا مسكنكما هنا دون اذن
منا والا تعرضتما للعقوبة ..

وبالرغم من أن الزوجين قبل اعتقالهم لأمراء هؤلاء
الجنود الفرنسيين الا أن الأهالى الافريقيين من المرضى
ومن سكان قرية «لامباريني» قد غضبوا لذلك غضبا
شهيدا وقالوا للجنود :

— لاشان لكم بطبيبنا الطيب !

وأوشك بعض الأهالى أن يقدفوا الجنود الفرنسيين
بالحجارة وقطع الطوب لولا تدخل شفايتزر لمنعهم من
ذلك ..

وقد استاء شفايتزر من هذا الوضع الغريب الذى
يجعل الحرب الدائرة فى أوروبا تؤدى الى وقف العمل فى
مستشفيات الافريقى .. كما أن الافريقيين أنفسهم
أصبحوا لايتصورون كيف يتوقف العمل فى المستشفى

بسبب حرب تدور فى بلاد بعيدة لا يعرفون عنها شيئاً . .
وقال رجل افريقى عجواز ينتمى الى قبيلة معروفة
بانها تأكل أعداءها من البشر :

— كم رجلا قتل فى هذه الحرب . . عشرة ١٩ !

فقال شفايتزر :

— لا . . لقد قتل عدد كبير من الرجال . . !

وعندئذ قال الافريقى العجوز بدجشة :

— فى المعارك التى تدور احيانا بين قبائلنا الافريقية،
نلتزم بدفع «دية» لكل قتيل . . فكيف سيدفعون الدية
لكل هذا العدد الكبير من الرجال القتلى . . ولماذا لا تجلس
القبائل الأوروبية مع بعضها للتفاوض فيما بينها مثلما
تفعل قبائلنا ؟ . . !

**وبعد فترة صمت تسأل الافريقى العجوز مرة
أخرى :**

— هل يأكل البيض قتلاهم . . ؟ !

فقال شفائتزر :

- لا ٠٠ بكل تأكيد

وعندئذ قال الافريقى العجوز :

- اذن فهم يقتلون لمجرد ممارسة القتل والقسوة !

وتنفيذا لأوامر الجنود الفرنسيين ، لزم شفائتزر بيته لا يبرحه ٠٠ ووجد عندئذ الفرصة التى كان ينشدها منذ زمن طويل ، وهى أن يجد الوقت الكافى لتأليف كتاب عن « معنى الحياة » ٠٠ ولماذا وجدنا فى هذا العالم ٠٠ وما هى الواجبات والمسئوليات الملقاة على عواتقنا كبشر ٠٠

وظل يكتب ويكتب ، ويصب عصارة فكره وروحه على الورق : « ان عالمنا شديد الشبه بقارب قديم يتعرض للغرق ٠٠ وان واجبى ان أساعد فى بناء قارب جديد يستطيع أن يعبر بنا رحلة الحياة » ٠٠

ولاحظ شفائتزر ان الطبيعة وجميع الكائنات حوله

تصارع من أجل استمرار الحياة .. كل نبات أو حيوان
فى الغابة يصارع من أجل بقائه واستمراره .. نما
مثلا يفعل الانسان .. « فهل معنى ذلك أننا اذا أردنا
أن نعيش ونواصل الحياة ، فإن علينا أن نصارع بعضنا
بعضا وندمر بعضنا بعضا ؟! » .

وأخذ شفايتزر يفكر فى تلك المشكلة الى أن اقتنع
فى النهاية بأن الحياة مقدسة .. وأن واجبنا ان نحافظ
على قدسيته . وكتب يقول :

« يجب أن نحترم الحياة .. واذا احترم الانسان
فكرة الحياة .. فلن يقدم - بدون تفكير هكذا - على
تدمير حياة أى كائن آخر ، سواء أكان انسانا أم حيوانا
أم حشرة أم زهرة أم حتى ورقة صغيرة من أوراق
الشجر » .. !

١٥ - العودة الى أوروبا

وفجأة ٠٠ في خريف عام ١٩١٧ ، حدثت تطورات
مؤسفة ٠٠ فقد أمر الزوجان بالتوجه الى فرنسا
فيوضعا في أحد معسكرات الاعتقال باعتبارهما
منتميين الى دولة عدوة ٠٠ وقد حزن أصداقاهما السود
حزنا عظيما لوداعهما ٠

وبمجرد وصولهما الى فرنسا وضعا في أحد
معسكرات الاعتقال المكتظة بمعتقلين عديدين من أمم
وشعوب شتى ٠٠ ونظرا لأن شفائهم كان الطيب
الوحيد بين كل هؤلاء المعتقلين ، فقد أخذ على عاتقه

العناية بجميع المرضى فى هذا المعسكر . . .

وقد أتاح له ذلك أن يتحدث مع عدد كبير من الناس . . . تحدث معهم عن حياتهم وعن المهن التى كانوا يعملون بها قبل تعرضهم للاعتقال ، وعن آرائهم وخبراتهم فى الحياة . . . وقد استفاد شفايتزر من هذه الأحاديث فائدة كبيرة ، واختزن فى ذهنه مجموعة كبيرة من المعلومات الثمينة التى استفاد منها فى المستقبل .

وفى الربيع التالى ، تم الاتفاق بين كل من ألمانيا وفرنسا على تبادل الأسرى . . . وكان من نتيجة هذا الاتفاق أن أطلق سراح الزوجين شفايتزر وعادا الى موطنهما الأول بقرية جونزباخ التى تقع باقليم الألزاس .

وهناك علم شفايتزر بمقتل أمه بسبب الحرب ، كما رأى أباه مازال يواصل عمله بهدوء فى كنيسة القرية . . . أما القرية نفسها فقد سلمت من ويلات الحرب ولم يحدث بها أى تدمير يذكر ، وذلك بالرغم

من وقوع القرية فى وسط ساحات القتال والمعارك
الحربية ٠ وكان السبب فى ذلك أن المنطقة التى تقع
فيها القرية كانت محمية بمجموعة من التلال ٠ وفى
نهاية الحرب أصبح إقليم الألزاس تابعاً لفرنسا مرة
أخرى ٠

وخلال تلك الفترة شعر شفايتزر بالمرض ،
وأجريت له عمليتان جراحيتان أصيب بعدها ببعض
الضعف لفترة من الزمن ٠٠ وكان عليه فى تلك الفترة
أن يبحث عن الإجابة الدقيقة لسؤال كان يلوح فى ذهنه
باستمرار : « والآن ٠٠ ماذا سوف يصنع ٠٠ وكيف
سيكون مستقبله ؟ ! » ٠

كان عليه أولاً أن يقوم بتسديد ديونه التى
اقتترضها لدفع تكاليف العمليتين الجراحيتين ٠٠ وكذا
الديون التى اقتترضها لشراء المعدات والمستلزمات
الطبية لمستشفاه فى قرية لامباريني بإفريقيا ٠٠

وفى نفس الوقت فقد كان فى إمكانه أن يجد
أعمالاً مناسبة فى أوروبا حيث كان معروفاً بأنه كاتب

وطبيب وعازف موسيقى وأستاذ محاضر بالجامعة . وقد ألح عليه الكثيرون من اصدقائه وأقاربه أن يبقى في أوروبا ليمارس أحد هذه الأعمال أو ليمارسها كلها . وقد عرض عليه بالفعل أن يصبح أستاذا محاضرا في إحدى جامعات سويسرا . . كما أن زوجته لم تكن قد استردت صحتها بعد نتيجة للجهود الشاقة والحياة الصعبة التي عاشتها في افريقيا . . بالاضافة الى أنه رزق بطفلة تستحق العناية بها .

وفي نفس الوقت أيضا ؛ كانت تصله خطابات ونداءات من قرية لامباريني بأفريقيا : « دكتور . . ان الأهالي هنا ينتظرون وصولك بفروغ صبر ! . . دكتور . . ان الناس هنا يحتاجون اليك ! . . نرجوك أن تعود الى لامباريني ! » .

أما مشكلة الديون والنقود ، فقد حلها شفاينزر بطريقة مناسبة . . حيث قام بعدة جولات في مختلف بلدان أوروبا . . عزف فيها على الأورغن . . وألقى فيها الأحاديث والمحاضرات التي وصف فيها الأحوال البائسة

للافرقيين ٠٠ ووصف فيها مستشفى الذي أقامه في
قرية لامبارني ٠٠

وكان الناس يتجمعون في تلك الحفلات العامة
ليستمعوا الى موسيقاه بشغف ٠٠ ويستمعوا الى أحاديثه
ومحاضراته بشغف أكثر ٠٠ وبالإضافة الى استمتاع
الناس بكل ذلك ، فقد لاحظوا أيضا أنهم أمام طراز
غير عادي من الرجال ٠٠ أمام الإنسان وهب نفسه وحياته
لخدمة الآخرين ٠٠ وله قلب رحيم مملوء بالمحبة واحترام
الحياة في كافة مظاهرها ٠٠

١٦ - فى أفريقيا مرة أخرى

وبعد احدى عشرة سنة من وصوله الى افريقيا
لأول مرة ٠٠ وجد شفايتزر نفسه راكبا فى أحد القوارب
النهرية ٠٠ صاعدا مرة أخرى فى مجرى نهر
« اوجوى » ٠٠

ولكن زوجته لم تكن معه فى هذه المرة ، وانما
كان يصاحبه أحد طلاب الطب ليساعده فى أعماله
بالمستشفى .

ووصل القارب الى لامبارينى ٠٠ وصعد شفايتزر

الى التل ليرى ماذا صنع الزمن بمستشفاه ٠٠ ولكن
ماذا رأى ؟ ٠٠ لقد زالت معظم البيوت والحجرات تحت
وطأة وجبروت الغابات الافريقية ٠٠ وامتلات الارض
بالاعشاب الطويلة والأشجار الضخمة التى لم تكن
موجودة من قبل !

ولم يضيع شفايتزر الوقت ، فشرع على الفور
فى البحث عن عمال لمعاونته فى ازالة الحشائش وقطع
الأشجار واعداد المكان المناسب لاقامة البيت والحجرات
اللازمة للمستشفى ٠٠

وبسرعة البرق انتشر خبر وصوله بين سكان
الغابات والقرى القريبة والبعيدة ٠٠ كانوا يقولون
وقد ملا البشر، والأمل قلوبهم : لقد عاد ٠٠ لقد وصل
٠٠ عاد الينا الطبيب العظيم مرة أخرى ٠٠ !

وحتى قبل بداية العمل فى اعادة بناء المستشفى
٠٠ فان الافريقيين المرضى عادوا الى الظهور مرة أخرى
٠٠ بجيئون من كل فج وكل صوب ٠٠ ويتجمعون

امام بيته فى انتظار خروجه اليهم فى كل صباح ..
وانهمك شفائيتزر فى عمل شائ مرهق .. فقد
كان عليه أن يعالج مرضاه فى فترة الصباح وحتى
الظهر .. ثم يقوم بعد ذلك بالاشراف على بناء حجرات
المستشفى الجديد .. وكان من الصعب العثور على
عمال يصلحون للمساعدة فى أعمال البناء .. وحتى اد
تم العثور على بعض من هؤلاء العمال ، فانهم كانوا
يعملون ببطء .. واذا غفل شفائيتزر عن الاشراف عليهم
دقائق معدودة ، فانهم كانوا يتركون العمل على الفور
ويجلسون فى الظل يضحكون ويتجاذبون أطراف
أحاديث لا تنتهى ..

وبرر أحد هؤلاء العمال ذلك بقوله :

— الغلطة غلطتك يا دكتور .. اذا كنت لاتسطيع
أن تستمر فى مراقبتنا .. فنحن أيضا لن نستطيع أن
نستمر فى العمل !!
ومرت السنوات تباعا ..

وفام شفايتزر بالرحلة بين لامبارينى وفرنسا
عدة مرات ٠٠ وأصبح يقسم وقته بين افريقيا وأوربا ٠٠
وفى أوربا كان يرى أصدقاءه ٠٠ وينشر كنبه ٠٠
ويزور عدة أقطار أوربية ليلقى الأحاديث والمحاضرات
عن تجربة المستشفى فى لامبارينى ٠٠ ويعزف على
الارغن فى حفلات عامة ٠٠ وكان يقوم بكل هذا النشاط
ليجمع النقود اللازمة للوفاء باحتياجات المستشفى فى
لامبارينى ٠٠

وفى لامبارينى توسعت المستشفى وازدادت
حجراتها وكثر عدد المرضى وعدد العاملين فيها ٠٠
وتحسنتم الاحوال أكثر وأكثر بعد اكتشاف عين
للمباه العذبة النقية جوار المستشفى ٠٠ ولذلك فقد
قام شفايتزر بتطهير منطقة واسعة من أرض الغابة ،
وأزال اعشابها ومهد أرضها وجعلها صالحة لزراعة
مجموعات من الفواكه والخضراوات تكفى لاستهلاك
المرضى الذين يعالجون فى المستشفى ، وللعمال الذين
يعملون فيها ٠٠

وفى عام ١٩٤٧ أصبح عدد الأسرة فى المستشفى
ثلاثمائة وخمسين سريرا ٠٠ وأصبح يعمل فيها عدد
كبير من الاطباء المتحمسين ، ومجموعة كبيرة من
المرضات الاوربيات ٠٠

أما الدكتور شفايتزر فقد تخصص فى علاج
مرض خطير اسمه « الجذام » ٠٠ وكان هناك عدد كبير
من الافريقيين المصابين بهذا المرض ٠٠ الأمر الذى دعا
شفايتزر أن يبنى لهم قرية خاصة قرب المستشفى
ليعزل فيها هؤلاء المرضى بعيدا عن المرضى الآخرين غير
المصابين بهذا المرض الخطير ٠٠ خصوصا وأن هذا
المرض كان يستلزم العلاج الطويل والبقاء تحت
الاشراف الطبى لفترة طويلة ٠٠

١٧ - السنوات الأخيرة

وأصبحت لامباريني الآن مركزا طبيا حافلا بالنشاط .. يقدم العلاج والخدمات الطبية لعدة آلاف من المرضى الذين يعيشون فى تلك المنطقة الحارة الرطبة من أفريقيا ..

أما الرجل العظيم الذى كان وراء هذا العمل العظيم .. ألبرت شفايتزر .. فقد حصل على جائزة نوبل .. كما كرمته العديد من الجامعات والحكومات .. وحازت كتبه العديدة فى الموسيقى والعقيدة وفلسفة الحياة على شهرة واسعة فى عديد من أنحاء العالم ..

كما اعتبر واحدا من اعظم عازفى الارغن الذين عرفهم
العالم .

كان يتبع بروح نبيلة تدفعه دفعا لتقديم خدماته
لكل الضعفاء والمحتاجين ، ولتبث فيهم نور الامل بلا
مقابل الا احساسه بالرضا حين يرى جهوده فى خدمة
الناس قد تكللت بالنجاح ..

لقد بذل هذا الرجل العظيم جهودا جبارة على
مدى نحو اربعة واربعين عاما ..

وبالرغم من انه قد قضى حياته فى قارتى اوروبا
وافريقيا .. وهما قارتان مختلفتان تماما .. الا أنهما
كانا بالنسبة اليه أرضا واحدة .. فالانسان هو
الانسان فى كل زمان وكل مكان ..

وفى سنة ١٩٦٥ .. مات البرت شفايتزر فى
قرية لامبارينى ..

وانتشر خبر موته بسرعة البرق في جميع أنحاء
العالم .. وعرف الناس آنئذ أن حياة رجل من أعظم
الرجال في هذا العصر قد انتهت !

الفهرس

- ١ - المهاتما غاندى ٧
- ٢ - فلورنس نايتنجيل ٥٣
- ٣ - ابراهام لينكولن ١١٣
- ٤ - ملام كورى ١٨٧
- ٥ - ألبرت شفائتزر ٢٧٥

رقم الإيداع ٢٠٠٠/١١٩٨٤

I.S.B.N. 977-01-6878-5

مطابع الهيئة المصرية العامة للكتاب



هذا هو العام السابع من عمر «مكتبة الأسرة» ..
ومئذ سنوات طوال لم يلتف الناس حول مشروع ثقافى
كبير كما التفوا حول هذا المشروع الثقافى الضخم حتى
أصبح مشروعهم الخاص، وطالبوا باستمراره طوال العام.
واستجبنا لهذا المطلب الجماهيرى العزيز إيمانًا منا
بأهمية الكتاب؛ وبالكلمة الجادة العميقة التى يحتويها؛ فى
إعادة صياغة وتشكيل وجدان الأمة واستعادة دورها
الحضارى العظيم عبر السنين.

لقد استطاعت «مكتبة الأسرة» .. أن تعيد الروح إلى
الكتاب مصدرًا هامًا وخالدًا للثقافة فى زمن الإبهارات
التكنولوجية المعاصرة.. وها نحن نحفل ببدء العام
السابع من عُمر هذه المكتبة التى أصدرت (١٧٠٠)
عنوانًا فى أكثر من ٢٠ مليون نسخة، تحتضنها الأسرة
المصرية فى عيونها وعقولها زادًا وتراثًا لا يلى من أجل
حياة أفضل لهذه الأمة.. ومازلت أحلم بكتاب لكل مواطن
ومكتبة فى كل بيت.

سوزان مبارك